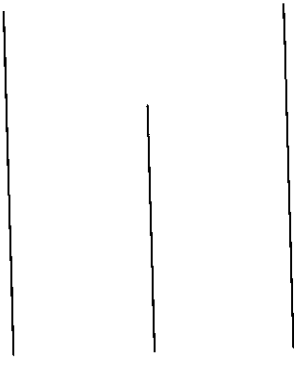

النصيحة

(أقسامها ـ شروطها ـ نتائجها)

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة
آداب إسلامية
(١)

النصيحة

(أقسامها ـ شروطها ـ نتائجها)

قال رسول الله ﷺ:
«الدين النصيحة»
[رواه مسلم وأبو داود
والترمذي وأحمد]

تأليف
أحمد خليل جمعة يوسف علي بديوي

الطبعة الأولى

1423هـ - 2003م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

مقدمة

الحمدُ لله الذي أرسل الأنبياء للناس بالخير والنَّصيحة ، فرغَّبوهم لإقامة العلاقات الصَّحيحة ، والتخلُّص من العادات والتقاليد القبيحة ، فإن استقاموا هداهُم الله للطريقة الصَّريحة ، فحازوا الفضيلة واكتسبوا الأعمال الصَّبيحة .

والصَّلاةُ والسلامُ على سيدنا محمد ، اصطفاه الله على الخَلْق ، وجعَلَه خَيْرَ مَنْ دعا إلى كلمة الإخلاص والحق ، فنَصَحَ الأمَّة بالأناة والرِّفْق ، وانداح المسلمون يدعون إلى ربِّهم في أرجاء الغرب والشرق .

أما بعد :

فإن المجتمع الإسلاميَّ يقوم على جُمْلة آداب رفيعة ، تنبعُ من دستور الأخلاق في القرآن الحكيم ، والسُّنَّة النبوية ، لزيادة التعاطف ، وتوثيق العلاقات ، وتعزيز روح التآخي .

ومن تلكم الآداب : النَّصيحة ؛ بكل ما توحيه من : الدعوة إلى الخير ، وإشاعته في المجتمع خُلُقاً عملياً ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، تطبيقاً لقول الله عز وجل : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

والنَّصيحةُ خُلُقٌ قويم ، ودعوة مخلصة ؛ لإبعاد الحيارى عن الوقوع في مهاوي الردى ، أو الانزلاق في شفا جُرُف هار ، فمَنْ قبلها فاز ، وسلَكَ الطريق الأقوم بتوفيق الله عز وجل ومعونته .

وللنَّصيحة مقام رفيع ، ويكفيها منزلةً في شأوها : أنَّها من صفات الأنبياء ـ وهم النموذجُ الأمثلُ للقدوة الصالحة ـ حيث نصحوا أُمَمَهُمْ ، وأخلصوا لهم الموعظة ، وأنذروهم سوء العاقبة . قال الله عز وجل على لسان النبي نوح عليه السلام : ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾ [الأعراف : ٦٢] .

وقال تبارك وتعالى على لسان النبي هود ـ عليه السلام ـ : ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف : ٦٨] .

ونصيحة المؤمن فيها إخلاص كثير ، وصِدْق وفير ، وتعزيز لروح التعاون الاجتماعي ، وتحقيق لقول رسول الله ﷺ : « وإذا استنصحك فانصحْ له »[1] .

وما أحوجَ الناس في كلِّ آن وزمان إلى من يُذكِّرهم بأخلاق القرآن وآدابه ، وبقيَمِ الهداية النبوية ونفحاتها المتألقة ، بعد أن نأَتْ طائفةٌ عن الحق ، وشردت أخرى عن الواجب ، وثالثةٌ علمت ولكنها لم تعمل!! .

وهذا الكتابُ تذكرةٌ للمعتبِر ، وموعظة للمزدجِر ، ودعوة للتحلِّي بآداب الإسلام الاجتماعية ، وتنمية روح النصيحة ، ونَشْرها ، وتعزيز آفاقها في نواحي الأسرة ، وأرجاء المجتمع كافة .

وبعون الله تعالى ، وحُسْن توفيقه ؛ جاء هذا الكتابُ في سبعة أبواب ، على عدد حروف كلمة النصيحة ، فكان هذا

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٣٢ و ٥٤٠) ، والبخاري (١٢٤٠) ومسلم (٤/ ٢١٦٢ و ٥) .

التوافقُ نصيحةً للنصيحة ، ودعماً للموعظة الفصيحة .

فقد تحدثنا عن مفهوم النصيحة ، ومعانيها ، وذِكْرها في ضوء القرآن الكريم ، ومكانتها في حياة الأنبياء عليهم السلام ، وعبقاتها في القصص القرآني ، والهدي النبوي الكريم ، وعصر الصحابة والسَّلف الصَّالح ، وأخيراً عرَّجنا على النصيحة بين أنفاس الشعراء ويراع البلغاء .

وقد أحببنا أن نفتتح هذه السلسلة الميمونة ـ آداب إسلامية ـ بكتاب النصيحة ؛ ليكون نُصْحاً للناس ، وإرشاداً لهم ؛ نحو قيم الخير ، ومُثُل الحق ، وهدي السعادة .

وثمَّة نصيحةٌ نهمسُها في أُذُن كلِّ ناصح ، ومفادُها : أن يرتديَ الناصحُ ثوبَ المحبِّ في نصيحته ، وأن يتأدَّب بآداب الموعظة ، ويتمثَّلها ، فيُرْشِدَ الضَّالَّ ، ويهديَ الجاهل ، ويُقوِّمَ الاعوجاجَ بالرِّفقِ والسِّتْرِ والمحبَّةِ .

ويرحمُ اللهُ الإمامَ الشافعي إذ يقول :

تَعَمَّدْني بنُصْحِكَ في انفرادي وجَنِّبني النَّصيحةَ في الجماعهْ
فإنَّ النُّصْحَ بينَ النَّاسِ نَوْعٌ من التَّوبيخِ لا أرْضَى اسْتِماعَهْ

وإنْ خالَفْتَني وعَصَيْتَ قَوْلي فلا تَجْزَعْ إذا لم تُعْطَ طاعَهْ

وكم شرَدَ أُناسٌ عن طريق الهداية من أجل بعض الدعاة ، لسوء كلامهم ، وتمثّلهم لموقف الأستاذ الناصح ، لا المحبّ المشفق ، أو الصديق الودود! .

ألا فليكُنْ نُصحُ الأنبياء ـ عليهم السلام ـ دَيْدَنَ الدُّعاة ، ولتكن تلك الأسوةُ الصَّالحةُ نُصبَ العيون ، بينما تتهادى كلماتُ النصيحة ؛ لتحلَّ برفقٍ في قلب السامع قبل أن تتجاوز صيوان الأذن ، فما خرجَ من القلب وقع في القلب .

ورحم الله عبداً سمعَ فأناب ، واهتدى فهدى ، واتَّبع نَهْجَ الأنبياء ، فكان من الدُّعاة الموفَّقين السُّعداء .

اللهم اجعل النصيحة أساس العلاقات بين الناس ، واجعلنا ممَّن يقول الخيرَ فيغنم ، أو يسكت فيسلم .

اللهم اجعلنا نَصَحَةً مُتوادِّين مُتحابِّين ، نسعى لتحقيق النَّفع ، وإسداءِ الخيرِ ، ونشرِ الرخاء ، فنربط القلوب بطمأنينة القرآن ، وعندها تحلو الحياة ، ويرفل الناس بظلال المودَّة ، وأفياء الألفة .

اللهم اهْدِنا لنكون نُصحاء لكتابك ، ولرسولك ، ولأئمة المسلمين ، وعامَّتهم ، فنحبّ الخيرَ للناس ، بعداء عن التعيير والشتيمة ، وعن الكلمات التي ليست ذات قيمة ، حتى نلقاك ـ يا ربَّنا ـ وأنت راضٍ عنَّا ، فتدخلنا الجنَّة بفضلك العميم ، ومَنِّك العظيم ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

اللهم علِّمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علَّمتنا ، وزِدْنا علماً نافعاً يا أرحم الراحمين .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

الباب الأول

النصيحة بين آفاق التاريخ واللغة والمفهوم

الفصل الأول

النَّصيحةُ منذُ فَجْرِ التَّاريخ

* قبل أن نملأ أسماعَنا بمعاني النَّصيحة في رياحين اللغةِ ، وزَهْر آدابها ، دعونا نستروحُ من ريحان النَّصيحة ما نعطِّرُ به نفوسنا ، لتظلَّ رطبةً بأنداءِ أنسامها العَطِرات ، ولتظلَّ خفَّاقة بين حنايا أضالِعنا تغرسُ فيها الخيرَ والحبَّ والإخلاصَ .

* لقد عُرِفَتِ النَّصيحةُ منذُ فَجْرِ تاريخ الخليقة ، نادى بها النُّصحاء ، وخرجتْ من أغوار أعماقهم ، لترتسم في القُلوبِ ، وتُزيِّنَ الدُّنيا بأزاهِرها المتفتِّحة بأجمل الألوان ، ولتبقى سِلْسِلةً ذهبيَّة موصولةً بين الآباء والأبناء ، وبين العلماءِ والطُّلاب ، وبين المحبِّين والأتْباع ، وستظلّ هكذا

موصولة الإسناد إلى أن يرث اللهُ الأرضَ ومَنْ عليها .

* وقد تكون النَّصيحةُ غذاءً للأرواح ، يتلقَّفُها أصحابُ النُّفوسِ العليلة تلقُّفَ الأرضِ العَطْشى لأوائلِ المطر ، فإذا بهم بعد العمل بها أصحَّاء نُصَحاء .

وقد رأينا ـ ونحن نستلهمُ إشراقات النَّصيحة ـ أن نسعى جاهِدَيْن لننظمَ جوهرةَ النَّصيحة في سِلْكِ دُرَرِ « آدابٍ إسلاميَّةٍ » التي تنبثقُ من أسرار معاني القرآن الكريم ، وبيان الحديث النَّبويّ الشَّريف ، وأن نعملَ على إبرازها عَطِرةً نديَّةً ، تصيبُ برذاذِ شَذاها القلوبَ المُحِبَّةَ ، والقلوبَ الخاليةَ من الغِشِّ ، لنكون ـ بدورنا ـ قد أسهَمْنا في تحقيق النُّصح ، إذ « الدِّينُ النَّصيحةُ »[1] .

* من هذه المشكاة الوضيئة المُضيئة ، استلهمنا قَبَسات تشعُّ بعبقاتِ أنوارِ النَّصيحة ، لنضعَ عينَ القارىءِ وقلبَهُ على

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٠٢) ومسلم (٥٥) وأبو داود (٤٩٤٤) والنسائي (٧/ ١٥٦) .

هذه السِّمةِ الميمونة التي عرفَها فجرُ تاريخِ البشريَّة ، وعرفَتْ مشرقَ البدايةِ الإنسانيَّة .

* ومَنْ يدري ، فكم من نصيحةٍ أخذتْ بيدِ الضَّالين ، فتغلغلت في قلوبهم ، وأرشدتهم إلى سبيلِ الصِّراط السَّويِّ ، وهذَّبَتْ سلوكَهم ، وبعثتِ الخيرَ في نفوسهم ، فكانوا مشاعلَ هدايةٍ ، ونجوماً زواهرَ ترشدُ الحيارى في بيداءِ الحياةِ إلى الأُنْس والرَّشاد .

* فالنَّصيحةُ غايةٌ إنسانيَّةٌ ، ورسالةٌ نبيلةٌ ، صدرَتْ من قلوبِ حكماءَ ذوي نفوسٍ صافيةٍ ، وتجاربَ كثيرةٍ ، وخبراتٍ مُعْتصرَةٍ من التجارب والأحداث ، قدَّموها للنَّاسِ سائغةً خالصةً ممّا يشوبها من أكدار ، ليعيشوا في سعادةٍ غامرة .

* ولعلَّ الهدفَ الرئيسَ من النَّصيحة هو بثُّ الأُلْفَةِ والمعرفةِ بين بني البَشر ، فأكرِمْ به مِنْ هدف! .

* ورأينا أنَّ النَّصيحة تُظلِّلُ بجناحَيْها قيماً أخرى نبيلةَ الأهدافِ كـالحُلـمِ ، والحكمـةِ ، والجـودِ ، والسَّخـاء ، والسُّـؤدد ، والشَّرف ؛ وما شابه ذلك من مفاهيم عطرةٍ زكيَّةٍ زاكية .

* تُرى ؛ هل نستفيدُ جميعاً من هذه الهديَّةِ العظيمةِ التي لا تُقدَّرُ بثمن ، عِلماً بأنَّها لا تكلِّفُ شيئاً ؟! ولله دَرُّ من قال :

النُّصحُ أرخصُ ما باعَ الرِّجالُ فلا تَرُدُدْ على ناصحٍ نصحاً ولا تَلُمِ

إنَّ النَّصائحَ لا تخفى مناهِلُها على الرِّجالِ ذوي الألبابِ والفهمِ

* لقد كان الفُضَلاء[1] في كلِّ زمانٍ ومكانٍ يعرفون قَدْرَ النَّصيحة ، ويعرفون كيف يصوغونَها حَلْياً يُطوِّقونَ بها أعناقَ المنصوحين ، وكلُّنا يعرفُ ويَذْكُرُ ذلك الصَّحابيَّ الجَليلَ الجميلَ جرير بن عبد الله بن جابر الذي أسلمَ وأحبَّ النَّصيحة ، فقال : بايعتُ رسول الله ﷺ على السَّمْعِ والطَّاعةِ

---

(١) ولهذا كان النَّاسُ من أهلِ الأدَبِ والفَضْل يتواصَون ويتناصحونَ بتصَيُّدِ النُّصحاء ، وأهلِ الفضل ؛ قال أحدُ الحُكماء : الأصدقاء مِنْ أنْفسِ الذَّخائر ، فينبغي للعاقل أن يتأتّى لاكتسابهم ، ويصيدُ بعضُهم ببعض كما تُصادُ الطَّيرُ بعضها ببعض .

(مكارم الأخلاق ومعاليها للخرائطي ص ١٧٠) .

والنُّصحِ لكلِّ مُسلمٍ[1] .

* وعلينا أن نستحضرَ دائماً الحكمةَ القائلةَ : النَّصيحةُ أمْنُ الفضيحة ، نعم فمَنْ قَبِلَ النَّصيحةَ أمِنَ الفضيحة ، وعاشَ في أكنافِ الوعظِ هادىءَ الخاطرِ ، ناعمَ البال :

لو كنتَ تَقْبَلُ نُصحي غيرَ متّهم ملأْتُ سمعكَ من وَعْظٍ وإرشادِ

* * *

(١) سنن النسائي (٧/ ١٤٧) .

الفصلُ الثّاني

النّصيحةُ في رحابِ اللُّغة العربيّة

* تُطالعنا كتبُ اللُّغة بمعانٍ لطيفةٍ عن معنى النَّصيحةِ ، هذا الأدبُ الجميلُ الذي له كبيرُ الأثر ، وجليل القَدْر في الحياة الاجتماعية في ضوء الإسلام ، وفي ظلال الدِّين الحنيف .

* وها نحن أُولاءِ ، ومن خلالِ جولتنا المِعْطارِ في جنَّاتِ اللغة ، ألقَيْنا جِرانَنا[1] بحديقة « أساس البلاغة » للزمخشري

---

(١) الجِران : مقدّمُ عنقِ البعير ، فإذا بركَ ومدَّ عُنقهُ على الأرض قيل : ألقى جِرانه بالأرض . وفي حديث أمّنا عائشة ابنة الصدِّيق رضي الله عنهما : حتى ضربَ الحقُّ بجِرانِه ؛ أرادت أنَّ الحقَّ استقامَ وقرَّ في قراره .

حيثُ نجني زَهْرَ رياحين النَّصيحة من بساتينه حيثُ يقولُ ما مُفاده :

« نَصَحَ » : نصحتُه ، ونصحتُ له نصْحاً ونصيحةً ، وأنا لكَ نصيح ، وتنصَّحت له .

وعن أكثم بن صيفي حكيم العرب في نصيحة أولاده :

يا بنيّ إياكم وكثرة التَّنصُّح ، فإنَّه يورثُ التُّهمةَ .

وناصحتُه مناصحةً ، وناصحَ نفسه في التَّوبة إذا أخلصها ، واستنصحتُه وانتصحتُه ؛ قال الكميت ـ بن زيد الأسدي ـ :

تركتُ محَلَّ السُّوءِ إذْ لم يُواتني ولمْ أنتصِحْ فيهِ المنيمُ المُهدهدا

* وانتَصِحْ كتابَ الله : اقْبَلْ نُصحَه .

* ومن المجاز : هو ناصحُ الجيب ، ونصحَ الغيثُ البلاد ، جادَها ووصلَ نَبْتَها ؛ وغيوثٌ نَواصحٌ : مُترادِفة .

* ونصحَ الخيَّاطُ الثَّوبَ : إذا أنعمَ خياطته ، ولم يتركْ فيه خللاً[1] .

---

(١) أساس البلاغة (ص ٦٣٥) بتصرف .

* وها نحنُ بين أزاهرِ « المصباح المُنير » نجمعُ باقاتٍ من نَوَّاره في النَّصيحة ، نبدؤها بهذه الزَّهرة :

نصحتُ لزيدٍ ، أنصحُ نصحاً ونصيحةً ، هذه اللغة الفصيحة ، وعليها قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ ﴾ [هود : ٣٤] ، وفي لغة يتعدّى بنفسه فيُقال : نصحتُه ؛ وهو الإخلاصُ والصِّدقُ والمشورةُ والعملُ ؛ والفاعلُ : ناصح ، ونصيح ؛ والجمع : نُصَحَاء .

وتنصَّح : تشبَّه بالنُّصحاء[1] .

* وبعد أن اقتطفنا تلكمُ الأزَاهر المُونقة من « المصباح المُنير » دعانا أحمدُ بنُ فارس إلى بساتين « مُجْمله » كيما نجنيَ من جنى ريحانه يَنْعَ النَّصيحة ، لنقدِّمها شهيَّةَ الطَّعم ، عبقةَ الشَّذا إلى عُشَّاقِ الفَضائلِ ، وروَّادِ المكارم ، وها نحنُ الآنَ بين أشجارِ لغته ، وجنَّاتِ ألفاظهِ التي تجري بجوانبها أنهارُ اللُّغةِ لتعطيَ العذوبةَ والجمالَ ، وفي هذا الجوِّ الممزوجِ

---

(١) المصباح المنير (ص ٦٠٧) .

بألوانِ النَّدى والعبق ، نستمعُ إلى معاني النَّصيحة عند « ابن فارس » الذي يقولُ :

« نصح » : النُّصح ؛ من قولكَ : نصحتُه أنصحُه ، وهو خلافُ الغشّ ، وفلان ناصحُ الجيب .

* ويقال : أنصحتُ الإبل ؛ إذا سقيتها فنصحت ، أي : رَويت . وناصح العسل : ماذيُه[1] ، والنَّاصحُ : الخيَّاط ، والنّصاح : الخيط[2] .

* وودَّعنا ابن فارس في « مجمله » لنحلَّ ضيوفاً في حدائق « ابن منظور » لنجمع من ريحانِ النَّصيحة عنده ما هو روحٌ وريحانٌ للقلوبِ المُحبَّة لهذا المفهوم العظيمِ ؛ المرتبطِ بذِرْوَةِ آداب الأخلاق الإسلاميَّة .

* يقولُ ابنُ منظور في مادَّة « نصح » التي استغرقت بضعَ

---

(١) « ماذيُه » : أبيضه .

(٢) مجمل اللغة (ص ٧٠٠) باختصار يسير . دار الفكر طبعة ١٩٩٤ م .

وريقات من « لسانه »[1] :

* نصحَ الشَّيء : خَلَص .

* والنَّاصح : الخالصُ منَ العسلِ وغيره .

* والنُّصح : نقيضُ الغش ؛ ويُقال : نصحتُ له نصيحتي نصوحاً ، أي : أخلصتُ وصدقتُ ، والاسم : النَّصيحة .

* والنَّصيحُ : النَّاصح ؛ وقوم نُصَحاء ، قال النَّابغة الذُّبياني :

نَصَحتُ بني عوفٍ فلمْ يتقبَّلوا رسولي ولم تنجحْ لديهم وسائلي

* ويقال : انتصحتُ فلاناً ؛ وهو ضدّ اغتششتُه .

* قال الجوهري : انتصح فلان : أي قبلَ النَّصيحةَ ؛ وتنصَّح : تشبَّه بالنُّصحاء ، واستنصحه : عدَّه نصيحاً ؛ ورجلٌ ناصحُ الجيبِ : نقيّ الصَّدر ، ناصحُ القلب ، لا غِشَّ

---

(١) « لسانه » : أي كتابه لسان العرب ، القاموس الشهير ، بل الأشهر في عالم اللغة .

فيه ، كقولهم : طاهر الثّوب ، وكلُّه على المثل ، قال النّابغة :

أبلِغ الحرثَ بنَ هندٍ بأنّي ناصحُ الجيبِ بازِلٌ للثّواب

* والتّنصُّح : كثرة النُّصح .

* والتّوبةُ النّصوحُ : الخالصةُ ، قال تعالى : ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم : ٨] ؛ وفي حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه : سألتُ النّبي ﷺ عن التّوبة النّصوحِ فقال : « هي الخالصةُ التي لا يُعاوَدُ بعدها الذّنْبُ »[1] . . .

* وفي كتابه « الكليّات » قال الكفوي عن النّصيحة :

« النّصح » : كل شيء خَلَص فقد نَصَح[2] .

والنّصيحةُ : هي كلمةٌ جامعةٌ معناها حيازة الحظِّ للمنصوح له .

---

(١) لسان العرب (٢/ ٦١٥-٦١٨) باختصار وتصرّف .

(٢) انظر : الكليات (ص ٨٨٧) .

ويُقال : هي من وجيزِ الأسماء ومختصرِ الكلام ؛ وليسَ في كلام العرب كلمةٌ مفردةٌ تستوفي العبارةَ غير معنى هذه الكلمة ؛ كما قالوا في الفَلاح[1] : إنَّه ليسَ في كلامِ العرب كلمةٌ أجمع لخَيري الدُّنيا والآخرة منها[2] .

* * *

(١) اقرأ كتاب « الفلاح » لأحمد خليل جمعة من سلسلة « مفاهيم إسلامية » طبعة دار اليمامة بدمشق .
(٢) الكليات (ص ٩٠٨) .

الفصل الثالث

النَّصيحةُ في المفهوم

* قال ابنُ الأثير : النَّصيحةُ : كلمةٌ يُعبَّرُ بها عن جملةٍ هي إرادةُ الخير للمنصوح له ، فليس يمكن أن يُعبَّرَ عن هذا المعنى بكلمةٍ واحدة تجمعُ معناها غيرها .

* وفي الحديث : « إنَّ الدِّينَ النَّصيحة للهِ ولرسولهِ ولكتابهِ ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم » .

* ومعنى النَّصيحة لله : صحَّةُ الاعتقادِ في وحدانيَّته ، وإخلاص النيَّة في عبادته .

* والنَّصيحةُ لكتاب الله : هو التَّصديقُ به والعمل بما فيه .

* ونصيحةُ رسوله : التَّصديقُ بنبوَّته ، ورسالته ، والانقياد لما أمَرَ به ، ونهى عنه .

* ونصيحةُ الأئمَّة : أن يطيعَهم في الحقّ .

* ونصيحةُ عامَّة المسلمين : إرشادهم إلى المصالح[1] .

* وقال الخطّابي : النَّصيحةُ كلمةٌ يُعبَّرُ بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له ، قال : وأصلُ النُّصح في اللغة : الخلوص ، يُقال : نَصَحتُ العَسَل : إذا خلَّصتُه من الشَّمع[2] .

* قال محمد بنُ نصر : قال بعضُ أهلِ العِلْمِ : جماعُ تفسير النَّصيحة : هو عنايةُ القلبِ للمنصوحِ له مَنْ كان ؛ وهي على وجهَيْن : أحدهما : فرضٌ ، والآخر : نافلةٌ .

* فالنَّصيحة المفترضةُ لله : هي شدَّة العنايةِ من النَّاصحِ باتِّباع محبَّةِ الله في أداءِ ما افترض ، ومجانبةِ ما حرَّم .

---

(١) لسان العرب (٢/٦١٦) .
(٢) جامع العلوم والحكم (١/٢١٩) .

* والنَّصيحةُ النَّافلةُ : هي إيثارُ محبّته على محبَّة نفسه ، وذلك أن يعرضَ أمران : أحدهما لنفسهِ ، والآخرُ لربِّهِ ، فيبدأ بما كان لربِّه ، ويؤخِّر ما كان لنفسه ، فهذه جملةُ تفسير النَّصيحة له ، الفرض منه والنَّافلة .

* ويُعرِّفُ أبو عمرو بن الصَّلاح ـ رحمه الله ـ النَّصيحة فيقول : النَّصيحةُ كلمةٌ جامعةٌ تتضمَّنُ قيام النَّاصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادةً وفعلاً .

* وإذا كانت النَّصيحةُ خالصةً لله ، تقيمُ أوَدَ الأُلْفَةِ فيما بين القُلوب ، وتقوّي روابط الصَّداقات .

* ولعلنا نذكر بأنَّ النَّصيحةَ هي من سُنَنِ الأنبياء والمُرسلين ، وعليها قامتْ أُسسُ دعوتهم إلى صراطِ العزيزِ الحميد .

* إذاً فمعنى النَّصيحة ألا يترك باب خيرٍ ، ولا سببَ فلاحٍ إلا ويبيِّنه للمنصوح له .

* قال ابن بطَّال : النَّصيحةُ فرضٌ يجزىءُ فيه مَنْ قامَ به ،

ويسقطُ عن الباقين ؛ قال : والنَّصيحةُ لازمةٌ على قَدْرِ الطَّاقة[1] .

* وقال فخرُ الدِّين الرَّازي في تفسير هذا الأدب العظيم : النَّصيحةُ أن يرغِّبَه في الطَّاعة ، ويحذِّره من المعصية ، ويسعى في تقرير ذلك التَّرغيب لأبلغِ الوجوه[2] .

* وفي تفسيره « الجامع لأحكام القرآن » أشارَ القُرطبيُّ إلى النُّصح ، وصوَّره بأنَّه عملُ النَّاصح من جهةِ الإخلاص وصفاءِ القلب ، فقال : النُّصحُ إخلاصُ النيَّة من شوائبِ الفساد في المعاملة بخلافِ الغِشِّ[3] .

* ومن الملاحظ أنَّ القُرطبيَّ ـ رحمه الله ـ يعرضُ تعريفَهُ للنَّصيحة بأنَّها نقيَّةٌ من كلِّ شائبةٍ ، ويشيرُ إلى محبَّته للمنصوح

---

(١) انظر : شرح مسلم (٢/٣٨) .
(٢) تفسير الرازي مفاتيح الغيب (٧/١٥٧) دار الفكر طبعة عام ١٩٨٥ م .
(٣) انظر : تفسير القرطبي (٤/٢٣٤) .

ما يحبُّه لنفسه ، وهذا هو مَحْضُ النُّصح ، ومحبَّة الخير كلِّه للمنصوح له .

* ويُعرِّجُ الجرجاني في « تعريفاته » على مادَّة النَّصيحةِ فيقول عنها : هي الدُّعاء إلى ما فيه الصَّلاح ، والنَّهي عمّا فيه الفساد[1] .

* وأمَّا الرَّاغبُ الأصفهاني فيقول :

« النُّصحُ » : تحرّي فِعْلٍ أو قَوْلٍ فيه صلاحُ صاحبه ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٩] ؛ وقال : ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٢١] ، وهو من قولهم : نصحتُ له

---

(١) التَّعريفات (ص ٣٠٩) طبعة دار الكتاب العربي ١٩٨٥ م بيروت .

إن المتأمِّل في أقوال العُلماء يلحظُ أنَّ النَّصيحةَ ذاتُ طابَعٍ متقارب في تعريفاتهم ، لكنَّها تلتقي في النّواحي الآتية : الإخلاص لله عزَّ وجلَّ ، ومحبَّة الخير للمنصوح له ، وبذل الوسْعِ في سبيل النَّصيحة ، وما شابه ذلك .

الودّ ؛ أي : أخلصتُه ، وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم : ٨] فمن أحد هذين ، إمّا الإخلاصُ ؛ وإمّا الإحكام[1] .

* * *

(١) انظر : مفردات ألفاظ القرآن (ص ٨٠٨) بتصرف . دار القلم ، ط ١ ١٩٩٢ م .

الباب الثاني

النصيحةُ والنصح
في ضوء القرآنُ الكريم

الفصل الأول : مواردُ النَّصيحة ومعانيها
في كتاب الله .

الفصل الثاني : من صفات النَّاصحين .

الفصل الثالث : صورٌ من نصائحِ لقمان لابنه .

الفصل الأوّلُ

موارِدُ النَّصيحةِ ومعانيها في كتاب الله

* النَّصيحةُ من المفرداتِ والآدابِ التي وردتْ في كتاب الله عزَّ وجلَّ ، وقد وردت اشتقاقاتُ مادَّة « نَصَحَ » في ثماني صيغ ، في ستِّ سُوَر ؛ أربعٌ منها مكيّة وهي : الأعرافُ ، هودٌ ، يوسُفُ ، والقَصَص ؛ وثِنْتانِ مدنيَّتان هما : التَّوبةُ والتّحريم .

* أمّا صيغُ واشتقاقات مادة « نصح » فكانت على الصُّور الآتية : نصحتُ ؛ نصحوا ؛ أنصحُ ؛ نصحي ؛ ناصح ؛ ناصحون ؛ النَّاصحين ؛ نصوحاً ، وذُكرت في (١٣ موضعاً) .

أمّا معاني هذه الاشتقاقات ، فلا تكادُ تخرجُ عن المعاني اللُّغوية التي عرفناها في مكانها ـ من قبلُ في باب سابق ـ ولكنْ

لابأسَ أنْ نُوجز تلكم المعاني في بضعةِ أسطر كيما تتوضَّحَ صورة النَّصيحة في ضوءِ كتاب الله عزَّ وجلَّ فنقول :

* نصحَ له ، ونصحَهُ ، ينصحُ نصحاً ونصيحة : تحرّى ما ينبغي له وما يصلحُ ، وأرادَ له الخير ، وأخلصَ له في تدبير أمره ، وهو من قولهم : نصحتُ له الودَّ : أخلصتُه ، تقولُ : نصحتُ لصديقي في الرّأي ، ونصحَ العبدُ للهِ : وقفَ عند ما أمرَ وما نهى ، وفعلَ محابَّه ، وتجنَّب مساخِطَه وأخلصَ له ؛ ونصحَ للرَّسولِ ﷺ : صدَّقَ نبوَّته ، والتزمَ ما جاء به ، وتخلَّق بأخلاقهِ بقَدْرِ طاقته .

* ونصحَ لنفسه : تجنَّب ما يؤذيها في الدُّنيا والآخرة ، والتَّوبةُ النَّصوح : هي الخالصةُ التي لا يشوبها تردُّد ؛ أو هي التي لا يُعاودُ الذَّنب بعدها . وهي التي نصَحَ صاحبها لنفسه ، فجنَّبها ما يسوءها ، وأصلها التَّوبة النَّصوح صاحبها ، فغيّر إلى الإسناد المجازي ، ويأخذُها بعضهم من المعنى الثَّاني : أي التَّوبةُ التي تخيطُ ما خرقَ الذَّنب ، وترتقُ ما فتقَ الإثم ، ويأخذها بعضُهم من المعنى الثالث : أي الخالصة من شوائب

الإثم وتبعاته . وفي الآيات الآتية نستوضح معاني النُّصح .

* ففي قوله تعالى : ﴿ وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾ [الأعراف : ٧٩ و ٩٣] ، تدلُّ كلمة النُّصح على الهدايةِ والاجتهادِ في تقويم سلوك قوم صالح ، وقوم شُعَيْب ، وإرشادهم إلى الصِّراط المستقيم والدِّين القويم .

* وفي قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [التَّوبة : ٩١] ، يظهرُ معنى النُّصح لله ورسوله هنا ، بأن يكونَ هؤلاء صادقي الإيمان ، وأن يكونَ من نيَّتهم وعزمهم أنَّهم لو قدروا لجاهدوا .

* وفي قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾ [الأعراف : ٦٢] و [هود : ٣٤] ؛ ومعنى النُّصح هنا : هو بَذْلُ المجهود ، ونصح نبي الله نوح أتمَّ النُّصح ، والنّصح التام من أخلاقِ الأنبياء عليهم السَّلام ؛ وكذلك نلحظُ المعنى ذاته في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف : ٦٨] .

أمّا قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴾ [يوسف : ١١] ، فإنَّ معنى نصح إخوة يوسف

هنا : الإشفاق ، وزعموا أنَّهم يودُّون له الخير ، كما يودُّون لأنفسهم ؛ قال المفسِّرون : لما أحكموا العزم ـ أي : على إلقاء يُوسف في الجبّ ـ ذكروا هذا الكلام ، وأظهروا عند أبيهم أنَّهم في غاية المحبَّة ليوسف ، وفي غاية الشَّفقة عليه ، والنّصح له ؛ ولكنَّ هذا كان توطئة منهم وسلف ودعوى ، وهم يريدون خلافَ ذلك ، لما ليوسف في قلوبهم من الحسَدِ لحبِّ أبيه له .

* ونلحظُ المعانيَ نفسها في لفظ النَّاصحين من مثلِ قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٢١] .

* وأمّا في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحريم : ٨] ، فهاهنا قد أمرَ اللهُ عزَّ وجلَّ بالتَّوبة النَّصوح في هذه الآية الكريمة ، ووعد عليها بتكفير السيِّئات ، ودخول الجنّات ، والفوز بالفلاح ، حين يسعى المؤمنون يوم القيامة بنور إيمانهم ، ويمشون بضيائه ، ويتمتَّعون بروحه وريحانه ، وينعمون بجوار اللهِ عزَّ وجلَّ ، وهذا كلُّه من آثار التَّوبة النَّصوحِ .

الفصل الثاني

من صفات النَّاصحين

* إن مَنْ آتاهُ اللهُ عَقْلاً كبيراً ، تصدرُ عنه النَّصيحةُ هو ذو حظٍّ عظيم ، وحُقَّ له أن يغبطهُ النَّاسُ على هذه النِّعمةِ العظيمة ، وهذا الأدب الوضَّاء .

* والنَّاصحون أُناسٌ وهبَهم اللهُ فضائلَ شتّى من مكارمِ الأخلاق ، وفي مقدمتها : صفاءُ النَّفس ، وحُبُّ الخير ، والحلمُ ، والصَّبرُ ، وحسنُ معاشرة النّاس ، ودرايتُهم ، وذروةُ هذا كلِّه الدِّين ، إذ هو عمود النَّصيحة وتاجُها .

* وللنَّاصح صفاتٌ كثيرةٌ ، لا نستطيع حصرها ، لكنّا نذكرُ جملةً من حصائِل خصائله التي خوَّلتهُ أن يقتعدَ سُدَّة النَّاصحين ، ويُصْدِرَ نصائحه للعالمين .

أوّلاً : معرفةُ النَّاصح لله عزَّ وجلَّ حقَّ المعرفة :

* إنَّ من أجلِّ وأعظمِ صفاتِ النَّاصح ، أن يعرفَ اللهَ عزَّ وجلَّ ، ويستشعر عظمته في نفسه في كلِّ ما يصدرُ عنه من قولٍ أو فعلٍ ، فمن عرفَ الله كان ناصحاً ، وكانت نصيحتُه أحسن أثراً في النُّفوس ، وأنفع في القلوب .

* إنَّ النَّاصح ذو المعرفة الصَّحيحة المبنيَّة على أساسٍ قويمٍ ، ليدركُ تمام الإدراك أنَّه بعيدٌ عن المحارمِ اللِّسانيّة والسَّمعيَّة والنَّظريَّة ، كالكذب ، والغيبة ، والنَّميمة ، واللَّغو ، والنَّظر إلى الحرام ، لأنَّ من تمام النُّصح التَّحلي بلطيف الكلام ، وجميل الأقوال ، إذ الأقوال دليلٌ على الأفعال والرِّجال .

ثانياً : خشيةُ اللهِ في السِّرِّ والعلانية :

* إذا كان المرءُ نقيَّ السَّريرة ، صافي العلانيَّة ، فقد جمع أصولَ الحكمة ، وبالتالي قُبلَتْ نصيحتُه ، ووقعت موقعها ،

لأنَّ الكلام الصَّادر من القلب يقعُ في القلبِ ، وبالتالي يُحبِّبُ هذا النَّاصح اللهَ إلى العباد .

* قال أبو الدَّرداء ـ رضي الله عنه ـ : إن شئتُم لأنصحنَّ لكم : إنَّ أحبَّ عبادِ اللهِ إلى الله الذين يُحبِّبون اللهَ تعالى إلى عباده ، ويعملون في الأرض نُصْحاً[1] .

* هذا وإنَّ النَّاصح يجبُ أن يكونَ مخلصاً أميناً في نُصحه ، فلا ينصحُ سِرّاً ، ويفضحُ علانيةً ، وعليه أن يبتغي وجه الله في نُصحهِ وإرشاده ، لا الشُّهرة أو التسلُّق لغايةٍ يريدها ، أمّا إذا ركبَ الأهواء ، فإنَّ نصائحهُ تذروها الرِّياح :

وكيف يصحُّ أن تدعى نصوحاً وأنتَ لكلِّ ما تهوى ركوب ؟!

ثالثاً : الاستقامةُ والإخلاصُ في العمل :

* لابُدَّ للنَّاصح من الاستقامة والإخلاص ليكون نصحه مقبولاً عند الخاصِّ والعامّ ، فالاستقامة منهجٌ وحياةٌ ، والإخلاصُ قرينُها .

---

(١) المستطرف (١/٧٦) .

* فالنَّاصح الذي يعملُ على النُّصح يبدأُ بنفسه ، فيقوِّمُ من اعوجاجها ، ويخلصُ في قوله وعمله ، وعندها يكون قد استوفى شرائط مكارمِ الأخلاق ، ولله درُّ أبي الأسود الدّؤلي الذي يقول :

يا أيُّها الرَّجلُ المعلِّمُ غيرَهُ ... هلاّ لنفسكَ كان ذا التَّعليمُ
ابدأ بنفسكَ فانْهَها عن غيِّها ... فإن انتهت عنه فأنتَ حكيمُ
فهناك يُسمعُ ما تقولُ ويشتفى ... بـالعلـمِ منـكَ وينفـعُ التَّعليـمُ
لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتي مثلَهُ ... عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ

رابعاً : مجالسةُ أهلِ العلمِ والحكمةِ والحياء :

* لكي يكتسب النَّاصحُ تجاربه ، وتكون نصيحتُه نابعةً من أعماقهِ ، ومبنيَّةً على أساسٍ صحيحٍ ، لابدَّ له من الأخذِ عن أهلِ العلمِ ، وأن يتخلَّقَ بأخلاقِ أهل الأدبِ والحياء ، وأن يستلهمَ الحكمةَ من الحكماء ، فالحياةُ تطيبُ بهذه الأشياء ومع هؤلاء ، ومع الابتعاد عن الجاهلين ؛ ولقد أصابَ مَنْ قال :

يطيبُ العيشُ أن تلقى حكيماً غِذاهُ العِلْمُ والفَهْمُ المصيبُ
فيكشفُ عَنْكَ حيرةَ كلِّ جَهْلٍ وفَضْلُ العلمِ يعرفُه اللَّبيبُ
سقامُ الحرصِ ليس له شفاءٌ وداءُ الجهلِ ليس له طبيبُ

* وامتدحَ رجلٌ قوماً فقال : أدَّبَتْهم الحكمةُ ، وأحكمتهم التَّجارب ، ولم تغررهم السَّلامةُ المنطويةُ على الهلكة ، ورحل عنهم التَّسويف الذي قطعَ النَّاس به مسافة آجالهم ، فأحسنوا المقال ، وشنَّعوه بالفعال[1] .

* وكذلك يجبُ على النَّاصح أن يكون ثقةً ، يُسَرُّ بحالِ الصَّديق ، وبحال المنصوح ، وكان أبو العبّاس المبرّد ينشد :

أخو ثقةٍ يُسَرُّ بحُسْنِ حالي وإنْ لم تُدْنِهِ منّي قَرَابه
أحبُّ إليَّ مِنْ أَلْفَي قريبٍ بناتُ صدروهم لي مُسْتَرابه[2]

* * *

(١) البيان والتبيين للجاحظ (٣/ ٦٠٣) ط ١٣٨٨ هـ .
(٢) انظر : مكارم الأخلاق ومعاليها للخرائطي (ص ١٦٩) .

الفصل الثالث

صورٌ من نصائح لقمان لابنه

* في عالم النَّصيحة ، وفي مَيْدان النَّصائح ، تلمعُ نصائحُ لقمان لابنه ؛ وفي القُرآن الكريم سورةٌ باسم سورة « لقمان » ، وفيها عرضٌ جميلٌ لنصائحِ ووصايا لقمان لابنه .

* جاءت نصائحُ لقمان لابنه ممزوجةً بالحكمةِ التي آتاهُ اللهُ إيّاها ، فقد بدأتِ النَّصيحةُ لابنهِ بلفظِ التَّحبُّبِ والتَّصغير والإشفاق فقال : ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ ، وبعد ذلك يقول : ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان : ١٣] .

* ثم تبدأ سلسلةٌ من النَّصائح الأبويَّة اللقمانيّة لابنه ، ترى ما هي هذه النَّصائح ؟!

* إنّنا نقرأُ في أُولاها بأنَّ الله لطيفٌ خبيرٌ ، ثمَّ ينصحُ ابنَه

ويوصيه بإقامة الصَّلاة ، ثمَّ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ، يلي ذلك الصَّبر .

* ثم يأتي إلى النَّصائح السُّلوكية فيقول له : لا تُصَعِّرْ خدَّكَ للنّاس ، ولا تمشِ في الأرض متكبِّراً جبَّاراً عنيداً ، فالله لا يحبُّ المختالين الفخورين ؛ ثمَّ يأمرُ ابنهُ بالقصد في المشي ، وألاّ يرفعَ من صوته ، إذ إن أنكر الأصوات صوت الحمير . .

* والآن ما رأيكم لو نقرأُ هذه النَّصائح في كتابِ الله عزَّ وجلَّ ؟! ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ [لقمان : ١٦-١٩] .

* ولعلَّه ممّا يزيدُ كتابنا ـ هذا ـ حلاوةً وطلاوةً أن نوردَ هذه القصّة الشعريَّة اللطيفة التي نظمَها أحدُ الفُضَلاء ، وذكرَ

فيها نصائح لقمان لابنه ، نختارُ منها :

لُقمانُ عبدٌ صالحٌ آتاهُ ربُّـ ـهُ حكمةً في طيِّها عِلْمٌ غزيرْ
نادى ابنَه يوماً وقامَ بنصحهِ كي يهتدي بالنُّصح والعِلْمِ المُنيرْ
أبُنيَّ لا تُشرِكْ بربِّكَ مُطلقاً فالشِّركُ بالله به ظلمٌ كبيرُ
أبني إنْ تَكُ حبَّة من خردلٍ في صخرةٍ يعلمْ بها ربٌّ بصيرْ
أقمِ الصَّلاةَ ولا تكنْ متردِّداً عن فعلِ معروفٍ ونبذٍ للفجورْ
واصبِرْ على ما قد أصابكَ إنَّ ذا لكَ منك عزمٌ في الحوادث والأمورْ
لا تمشِ مغروراً ولا متكبِّراً فاللهُ لا يرضى التكبُّرَ والغرورْ
لا ترفعِ الصَّوتَ الجهيرَ مجعجعاً ومقلِّداً في القُبْحِ أصواتَ الحميرْ
واقصدْ بمشيكَ واعتدِلْ مُتلفِّظاً فالعدلُ خيرٌ في الكلامِ وفي المسيرْ
وارجعْ إلى ربِّ الورى مستغفراً فإلى الله المنتهى وله المصيرْ[1]

* * *

(١) انظر : لقمان الحكيم وحكمه (ص ١٧٢ و ١٧٣) باختصار وتصرّف .

الباب الثالث

مكانة النصيحة في حياة الأنبياء ودعوتهم

الفصلُ الأوَّلُ : أنبياءُ اللهِ والنَّصيحة .

الفصل الثَّاني : نبيُّ اللهِ نوح الشَّكور النَّصوح .

الفصل الثَّالث : نبيُّ اللهِ هود النَّاصح الأمين .

الفصل الرَّابع : نبيُّ اللهِ صالح المُبلِّغ النَّاصح .

الفصل الخامس : نبيُّ اللهِ شُعيب الخطيبُ النَّاصح .

الفصلُ الأوّلُ

أنبياءُ اللهِ والنَّصيحة

* أخذتِ النَّصيحةُ مساحةً واسعةً من دعوةِ أنبياءِ اللهِ إلى الهدى ودينِ الحقّ ، وكان كلُّ نبيٍّ يدعو قومه إلى توحيد اللهِ ، وإلى نَبْذِ ما يُخالفُ ذلك .

* ولمّا رُحْنا نستعرضُ ألوانَ النَّصيحة في حياةِ أنبياءِ اللهِ ورُسلِه ، ألفينا أنَّها كانت منهجاً سَلَكَهُ أولئك الصَّفوةُ الأخيارُ تجاهَ أقوامهم ، وإزاءَ أُممهم وعشائرهم ، وذلك في تبليغهم شرعَ اللهِ ودينه ، والأمرَ بالمعروف ، والنَّهيَ عن المنكر .

* فالنَّصيحةُ أدبٌ من آدابِ القرآن الكريم ، وجانبٌ من هدي الرَّسول الكريم ﷺ ، وفضيلةٌ عُظمى من فضائل القرآن العظيم ، فالمؤمنُ من شأنه أن يحبَّ الخير لنفسه وأخيه ، فهو داعٍ إلى الخير ، آمرٌ بالمعروف ، ناهٍ عن المنكر ؛ وهكذا

الأنبياءُ الكرام ، يدعون إلى الخيرات ، وينهون عن المنكرات ، ولذا فالنَّصيحة صفةٌ من صفاتهم ، ولهذا فإنَّ لها مكانةً عُليا في آداب الأخلاق الإسلاميّة ، وحسبُها فضيلة وشرفاً ، أنَّها صفةٌ من صفاتِ الأنبياء .

* ولو أمعنا النَّظرَ في نصيحة الأنبياء في كتاب الله عزَّ وجلَّ ، لوجدنا أنَّها ذاتُ مكانةٍ عظيمةٍ في الدِّين ، وأنَّها ذاتُ مكانةٍ سامقةٍ باسقةٍ في ألوانِ الدَّعوة إلى صراطِ الأدبِ والأخلاق .

* ونحن ـ في هذا الكتاب النَّافع بإذن الله ـ مرسلو القولَ في نفحاتِ النَّصيحة وأندائها العطرات في حياة الأنبياء الكرام الذين قصَّ اللهُ قصَصَ بعضهم ، وبيَّن مكانة النَّصيحة في دعوتهم ، وكيف كانوا ينصحونَ ويناصحون أقوامهم ، ومن أولئك الأنبياء : نبيُّ اللهِ نوح ، هود ، صالح ، شعيب عليهم السَّلام ؛ فإلى الفصول التالية نستروحُ عبيرَ النَّصيحة مع حياةِ أنبياء الله ونصحهم ، لنحبَّ أدبَهم ومنهجَهم ، بل ونحبّهم :

قد صِيْغَ قلبي على مِقْدارِ حبِّهم فما لحبِّ سِواهم فيه مُتَّسَعُ

* * *

الفصل الثّاني

نبيُّ اللهِ نوح الشَّكور النَّصوح

* في حقِّ نبيّ الله نوح عليه السَّلام نقرأُ قولَ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء : ٣] ، وقد أفادَ العلماءُ بأنَّ الشَّكور هو الذي يعمل بجميع الطاعات القلبيَّةِ والقوليَّة والعمليَّة ، فإن الشُّكْرَ يكون بهذا وبهذا وبهذا .

* ومن ألوانِ شكر نوح عليه السَّلام : العملُ بطاعة الله ، والدَّعوةُ إليه ، والنَّصيحةُ لقومه ، فقد لبثَ في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً ، وكان خلال هذه المدّة الطّويلة يدعوهم ليلاً ونهاراً ، وجهاراً وإسراراً ، وكان يدعوهم إلى سُبُلِ المغفرة والغُفران ، ويبالغُ في نُصحهم أبْلغَ نُصْح كما ذكر ربُّنا عزَّ وجلَّ : ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾ [الأعراف : ٦٢] ،

وظلَّ يدعوهم بالحكمةِ والموعظةِ ويجادلُهم بالتي هي أحسن ، ولكنّهم عموا وصمّوا ، وأعرضوا وخالفوا ، ولم يَقْبلوا نُصْحه ، بل تواصوا وأوصوا أجيالهم بالكُفْر ، فكان كلّما انقرضَ جيلٌ وصّوا مَنْ بعدهم بعدم الإيمان بنوح ، بل ومحاربته ومخالفته وعصيانه ، وكان الوالدُ إذا بلغ ابنه وعقَلَ عنه كلامه ، وصّاه فيما بينه وبينه ألاّ يؤمنَ بنوحٍ أبداً ما عاشَ ، وما بلَّ بحرٌ صوفة .

* وكانت سجاياهم تأبى الإيمان واتّباع الحقّ ، فكانت ذُرِّياتُهم أسوأَ منهم ، كما ذكَرَ ربُّنا عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح : ٢٧] ، ولم يَعُدْ فيهم خيرٌ يُرتجى ، وأضحَتْ نصيحةُ نوحٍ لهم كالدَّقيق الذي يُذَرُّ في الرِّياح ويُطْلَبُ جمعُه ، وعندها خاطبَهم بقوله لمّا رأى عدم اكتراثهم بدعوته : ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[1] [هود : ٣٤] .

---

(١) قال نوحٌ عليه السَّلام : ولا يفيدُكم نُصحي واجتهادي في إيمانكم ، إن أرادَ اللهُ إغواءَكم ، أي : إيقاعكُم في الغيّ =

* لقد انعدمتِ السُّبُل كلُّها أمامَ نوحٍ مع قومه ، ولم تَعُد النَّصيحةُ تنفعُهم ، بل كانوا يجعلونَ أصابعَهم في آذانهم كيلا يسمعوا نُصْحَهُ ودعوته ، هنالك يئسَ نوحٌ من صلاحهم وفلاحهم ، ورأى أنَّهم لا خيرَ فيهم ، وتوصَّلوا إلى أذيَّته

= والضَّلال والفَساد ، ودماركم وهلاككم ، هو ربُّكم والمتصرِّفُ في أمورِكم ، والحاكمُ العادلُ الذي لا يجور .

وكلامُ نوح عليه السَّلام دليلٌ على أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ ما أغواهم ، بل فوَّضَ الاختيار إليهم من وجهَيْن :

الأوَّل : لو أرادَ اللهُ عزَّ وجلَّ إغواءَهم ، لما بقي في النُّصح فائدة ، ولما أمرَ اللهُ نوحاً بأنْ ينصحَ الكُفَّار ، وأجمع المسلمون على أنَّ نبيَّنا كغيره من الأنبياء مأمورٌ بدعوة الكفَّار ونصيحتهم .

الثّاني : لو ثبتَ الحكمُ عليهم بأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أغواهم أو خلقَهم غاوين ضالين لصار هذا عذراً لهم في عدم إيمانهم ، ولصار عملُ نوح غيرَ ذي موضوع ولا هدف ، ولا داعي له ، ولا فائدة منه ، لأنَّه يسهّل عليهم الاعتذار بذلك ، والردَّ عليه بعدم جدوى دعواه .

ومخالفتِه وتكذيبِه بكلِّ طريق ، من فعال ومقَال ، ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ [القمر : ١٠] ، وجاء أمرُ اللهِ ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٤] ، ولم يبقَ منهم عينٌ تطرف ، وأنجى اللهُ عزَّ وجلَّ نُوحاً ومَنْ آمَنَ معه برحمةٍ منه .

* * *

الفصل الثّالث

نبيُّ اللهِ هود النّاصحُ الأمينُ

* في « موارده » ذكرَ ابنُ حِبّان ـ رحمه الله ـ عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه في حديثه الطّويل في ذِكْرِ الأنبياء والمرسلين قال فيه : « منهم أربعةٌ من العرب : هود ، وصالح ، وشُعيب ، ونبيّك يا أبا ذر »[1] .

* وهذا النبيُّ الكريمُ هود كان من قبيلةٍ يُقال لهم : عاد[2] ، وكانوا عرباً يسكنون الأحقاف ـ وهي جبال الرّمل ـ وكانت باليمن بينَ عُمان وحضرموت ، بأرضٍ مُطلّةٍ على

---

(١) انظر موارد الظمآن برقم (٩٤) .

(٢) جاء ذكر عاد في عدد من السور منها سورة التوبة ، إبراهيم ، الفرقان ، العنكبوت ، صّ ، قّ وغيرها .

البحر يُقال لها : « الشَّحر » واسم واديهم « مغيث » ، وكانوا كثيراً ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضِّخام ، وكانوا أوَّل مَنْ عَبَدَ الأصنام بعد الطُّوفان ، وكانت أصنامُهم ثلاثةً : صدا ، صمود ، هرا[1] .

* ولما أغرقوا في عبادة الأصنام وأُغْرِموا بها ، ونبغوا في عبادتها ، وتكبَّروا وتجبَّروا ، بعثَ اللهُ عزَّ وجلَّ فيهم أخاهم هوداً عليه السَّلام ، فدعاهم إلى عبادة اللهِ وحده ، وإلى توحيده ، وأخبرهم بأنَّه رسول الله إليهم ، وأنّه ناصحٌ أمينٌ لهم ، كما قصَّ ربُّنا عزَّ وجلَّ : ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف : ٦٨] ، والبلاغُ يستلزمُ عدم الكذب في أصلِ المبلّغ ، وعدم الزِّيادة فيه ، والنَّقص فيه ، ويستلزمُ إبلاغه بعبارةٍ فصيحةٍ وجيزةٍ جامعةٍ مانعةٍ ، لا لُبْسَ فيها ولا اختلاف ولا اضطراب .

* وهودٌ عليه السَّلام مع هذا البلاغ على هذه الصِّفة في غاية النُّصح لقومه ، والشَّفقة عليهم ، والحرص على

---

(١) انظر : قصص الأنبياء لابن كثير (ص ١٠٩) .

هدايتهم ، لا يبتغي منهم أجْراً ، بل هو مخلصٌ للهِ عزَّ وجلَّ في الدَّعوة إليه ، والنُّصحِ لخلقه ، معروفٌ عند قومه بالنُّصح والأمانة ، مشهور بين النّاس بذلك .

* إنَّ خصلتَي الأمانة والنُّصح ، هما من خَصائل العقل ، ويضطلعُ بهما أشراف النّاس وأسيادهم ، وذوي المروءة منهم ، وهودٌ عليه السَّلام كانت فيه كلُّ تلكم الحصائل والخصائل الشَّريفة ، وكان حرياً به أن يُستجاب له ، وأنْ يُناصَر ويُعاضَد ، ولكنَّ قومَه الذين زادهم اللهُ في الخَلْقِ بصطةً ، أخبروه بأنَّهم ليسوا تاركي آلهتهم عن قولهِ ، ثمّ زعموا بأنَّ آلهتهُم قد اعترتْ هوداً بسوءٍ لأنّه يسخرُ منها ويسفّهها ؛ ولكنّه تحدّاهم وقال : ﴿ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾

[هود : ٥٤ـ٥٥] .

وكما ترى ـ عزيزنا القارىء ـ فهذا تحدٌّ من هودٍ عليه السَّلام لقومه ، وتبرؤٌ من آلهتهم المزعومة ، وتنقّصٌ منه لها ولهم ، وبيانٌ أنّها لا تنفعُ شيئاً ولا تضرُّ ، وأنّها جمادٌ ، فإنْ

كانتْ ـ كما يزعمون ـ من أنّها تَنْصُر وتنفعُ وتضرُّ ، فهو بريءٌ منها ، لاعِنٌ لها ، فليكيدوا ما يكيدوا جميعاً بجميع ما يمكنهم أن يصلُوا إليه ويقدروا عليه ، بل تحدّاهم بأعظمِ من هذا بألا يؤخّروا ساعةً أو طرفةَ عين من كيدهم ، فهو عليه السَّلام غيرُ مبالٍ بهم ، وغيرُ مفكّرٍ فيهم ، ولا ينظرُ إليهم ، بل قال لهم : ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود : ٥٦] .

* وأعرضَ القومُ الكافرون عن وعظِ هودٍ ونُصحه ، واتَّهموه باختلاقِ النبوَّةِ والرِّسالة ، وأنّه أخذ ذلك من كُتُبِ الأوَّلين ، وزعموا بأنّهم غيرُ معذَّبين .

* هنالك دعا هودٌ ربَّه قائلاً : ﴿ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ [المؤمنون : ٣٩] ، وجاءَ وَعْدُ اللهِ الحقّ : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ ﴾ [المؤمنون : ٤١] ، ونجَّى اللهُ عزَّ وجلَّ نبيَّه هوداً والذين آمنوا معه وسمعوا نُصْحه ، واتَّبعوا دعوتَه ، وكان القومُ الكافرون المعرضون عن النُّصح حديثَ العِظة والعبرة : ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٨] ؟!! .

الفصل الرَّابع

نبيُّ اللهِ صالح المُبلِّغُ النَّاصحُ

* لئن كان نبيُّ اللهِ هود عليه السَّلام قد اجتهدَ في النُّصح والأمانةِ لقومه ، لقد بالغَ نبيُّ اللهِ صالح عليه السَّلام في النُّصح لقومه ، وإبلاغ رسالة اللهِ ، ولكنَّ قومَ صالح تبعوا سُنَنَ الأوَّلين وكذَّبوا وأعرضوا فكانوا من الغابرين .

* فقد كان قومُ صالح عليه السَّلام قبيلةً مشهورةً يُقال لهم ثمود ، وكانوا يسكنون الحِجْر الذي بين الحجاز وتبوك ، وكانوا بعد قوم عاد ، وكانوا يعبدون الأصنام كأولئك .

* ولما غرقوا في عبادة الأصنام ، بعثَ اللهُ فيهم رجلاً منهم هو صالح عليه السَّلام ليأخذَ بأيديهم إلى شاطىء الأمان ، وينتشلهم من أوحالِ عبادة الأصنام والأوثان التي لا تنفعُ ولا تضرُّ ، ولا تغني من الحقِّ شيئاً .

* وأخذَ صالحٌ عليه السَّلام يدعوهم إلى عبادة العزيزِ الغفَّار وحدَهُ لا شريكَ له ، وأن يخلعوا الأصنامَ والأندادَ من نفوسهم وعقولهم ، وألا يشركوا بالله أحداً ، فآمنت به طائفةٌ منهم ، وكفر جمهورهم وأعلياءُ القوم منهم ، ونالوا منه بالمقال والفعال ، وهمُّوا بقتله ، وقتلوا النَّاقةَ التي جعلَها اللهُ له حجَّة عليهم .

* ومع شدّة نُصْحِ صالحٍ لقومه ، وتذكيرِهِ لهم بأنَّ الله عزَّ وجلَّ قد جعلَهم خُلَفاء لقومِ عاد ، ليعتبروا بما كان من أمرهم ، شدَّدَ في وعظِهم والنُّصح لهم ، وذكَّرهم بأنَّ اللهَ خلقَهم ، وأنشأهم من الأرضِ وجعلهم عُمَّارها ، وأعطاهم الزَّرْعَ والثَّمر ، فهو الخالقُ الرَّازقُ المستحقُّ للعبادةِ ، لا ما يدعونه من أصنامٍ وأربابٍ مزعومةٍ مصنوعةٍ .

* ولكن القوم الكافرين أعرضوا ، واتَّهموا صالحاً بأنَّه من المسحورين ، أو من السَّحرة الماهرين ، وطلبوا منه آية تدلُّ على صدقِ ما جاءَهم به : ﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

[الشُّعراء : ١٥٥ـ١٥٦] .

* وعلى الرغم من وجودِ هذه الآية العظيمةِ ناقة الله ، كان الغواةُ والمعرضون بالمرصاد لنصح صالح ، وأجمعوا أن يعقروا النّاقة ، وانبعثَ أشقاهم ، وعقروا النّاقة ، فقال لهم صالح عليه السَّلام : ﴿ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ﴾ [هود : ٦٥] ، ولمّا جاءَ الوعدُ الحقُّ ، جاءتهم صيحةٌ من السَّماء من فوقهم ، ورجفةٌ شديدةٌ من أسفل منهم ، ففاضتْ أرواحُ المشركينَ ، وزهقت نفوسُهم ، وسكنَتْ حركاتُهم ، وخشعَتْ إذ ذاك الأصواتُ ، وحقَّتِ الحقائقُ ، فأصبحوا في دارهم جاثمين ، جُثثاً لا أرواحَ فيها ، ولا حراكَ بها ، كأن لم يقيموا في الأرضِ في سَعَةِ رِزْقٍ وغَنَاء .

* وهكذا كانت نهايةُ القوم الذين لا يحبُّون نصْحَ النَّاصحين ونصحَ الأنبياء وحرصهم على هداية قومهم ، إذ لم تكن لقوم صالح سجايا تقبلُ الحقَّ ولا تريده ، ولهذا صاروا إلى هذه النِّهاية من العذاب الأليمِ المستمرّ المتّصل بهم إلى الأبد ، واللهُ يفعلُ ما يريده بهؤلاء الذين لم يكونوا أهلاً للنُّصح من نبيهم صالح عليه السَّلام .

الفصل الخامس

نبيُّ اللهِ شُعيب الخَطيبُ النَّاصحُ

* كان بعضُ السَّلف يسمِّي نبيَّ اللهِ شُعيباً خطيبَ الأنبياء ، لفصاحته وحلاوةِ عبارتهِ وبلاغتهِ في دعوةِ قومهِ إلى الإيمانِ برسالتهِ ، فعن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا ذكرَ شُعيباً قال : « ذاك خطيبُ الأنبياء »[1] .

* وقومُ شُعيبٍ هم أهلُ مَدْيَنَ ، وكانوا عرباً يسكنون مدينتهم « مدين » التي هي قريبة من أرضِ معان من أطراف

---

(١) رواه ابن أبي حاتم ، والحاكم ، انظر الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٥٠٤) .

الشَّام ، مما يلي ناحية الحجاز ، قريباً من بحيرة قوم لوط ، وكانوا بعدهم بمدة قريبة .

* وكان أهلُ مدين من أسوأ النّاس معاملةً ، يبخسون المكيالَ والميزانَ ، ويطفِّفون فيهما ، يأخذون بالزَّائد ، ويدفعون بالنَّاقص ، وكانوا كُفَّاراً يقطعون السَّبيل ، ويخيفون المارَّة ، ويعبدون الأيكة ، وهي شجرةٌ من الأيك حولها غيضةً ملتفَّةٌ بها .

* وبعثَ اللهُ رجلاً ناصحاً منهم هو رسولهُ شُعيب عليه السَّلام ، وكانت له أسوةٌ من أسلافه أنبياء الله ، دعاهم إلى عبادة اللهِ وحدَه لا شريكَ له ، ثمَّ نهاهم عن تعاطي هذه الأفاعيل السُّودِ القبيحة من بَخْس النّاس أشياءهم وإخافتهم لهم في طرقاتهم وأسفارهم ، واستجابَ بعضُهم لنُصحه ، ولكن أعرضَ أكثرُهم وكفر ، فكانوا قوماً طُغاةً بُغاةً يقطعون على الناس الطَّريق ، ويبخسون الناس أشياءهم ، وكانوا أوّل مَنْ سنَّ هذه القبائح والفضائح .

* ونهاهم شُعيبٌ عليه السَّلام عن التَّطفيف ، ونصحهم

بأن يبتعدوا عن قطع الطَّريق ، ورغَّبهم في الحلال ، فإنَّ الحلال مُباركٌ وإن قلَّ ، والحرام ممحوقٌ وإن كثر ، فأعرضَ القومُ المجرمون ، وأكثروا الاستهزاء به ، والتَّنقُّص والتهكُّم به ، وقالوا : ﴿ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [هود : ٨٧] ، ومع هذا كلِّه كان يقول : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : ٨٨] .

* وظلَّ شُعيبٌ عليه السَّلام ينصحُ ويدعو قومَه ، ويبذلُ ما بوسعه من النَّصيحةِ ، ويُثابرُ على ذلك ، ولكنَّ قومَه ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ﴾ [هود : ٩١] ، يعني أنَّهم لا يفهمون ولا يعقلون ، لأنَّهم لا يحبُّون هذا النُّصح ولا يريدونَه ، وليس لهم إقبالٌ عليه .

* وأخذَ شُعيبٌ يخوِّفهم عذابَ اللهِ إن أعرضوا عن نُصحه ، ويذكِّرهم بغضبِ اللهِ الذي سيحلُّ بهم نظيرَ ما حلَّ بمن سَلَفَهم من أقوامِ الأنبياءِ قبلَهم وخاطبهم قائلاً : ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ

قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ [هود : ٨٩] .

* ولكنَّهم هدَّدوه بالرَّجم لولا أقاربُه وعشيرتُه ، وعندها أخبرهم بالعذاب الآتي القريب الذي يأتيهم من عند الله ، وجاء حكمُ الله عليهم : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف : ٩١] .

* وجمعَ اللهُ عزَّ وجلَّ على هؤلاء المكذِّبين المُعرضين عن النَّصيحة أنواعاً من العقوباتِ ، وصُنوفاً من المثُلات ، وأشكالاً من البليّات ، وذلك لما اتَّصفوا به من قبيحِ الصِّفات ، وسلَّطَ عليهم رجفةً شديدةً أسْكَنَتِ الحركات ، وصيحةً عظيمةً أخمدتِ الأصواتَ ، وظلَّةً أرسلَ عليهم منها شررَ النَّارِ من سائرِ أرجائها والجهات جزاءً وفاقاً لما قدَّموه من أعمالٍ وصنائعَ خبيثةٍ مع رسولهم النَّاصح الأمين الفصيح الذي تبرَّأَ من فعلاتهم ، وأعرضَ عنهم مولّياً عن محلَّتِهم بعد هلكتهم قائلاً : ﴿ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف : ٩٣] .

* * *

الباب الرابع

القصص القرآني
وعبقات النصيحة

الفصل الأوَّل : أهميَّةُ النَّصيحةِ في القُرآن الكريم .

الفصلُ الثَّاني : قصَّةُ نصيحةِ أختِ موسى عليه السَّلام .

الفصلُ الثَّالثُ : قصَّةُ الرَّجلِ النَّاصحِ لموسى عليه السَّلام .

الفصل الرَّابعُ : قصَّةُ نُصحِ حبيب النَّجَّار .

الفصل الأوّل

أهميَّةُ النَّصيحةِ في القرآن الكريم

* أحببنا أن يكونَ هذا الباب وهذا الفَصْل هديةً منَّا ونُصْحاً للقرَّاءِ الكرام ، حيث عِشْنا أوقاتاً ممتعةً في أفياءِ القرآن الكريم ننعمُ بظلالِه الوارفةِ ، وقطوفهِ الدَّانيةِ ، وقصَصِهِ النَّميرةِ ، وعِظاتِهِ الجميلة ، ونصائحهِ العِذابِ الحِسَان ، التي تُداعبُ القلوبَ والوجدان .

* ومع أنَّ هذه الفِكْرة بِكْرٌ في بابها ، فإنَّنا لا نزعمُ أنَّنا أتينا بالعجائبِ والغرائبِ ، ولكنَّ ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١] ، وهدفُنا في هذا ـ واللهُ وحده العليمُ الخبير ـ أن نبرزَ من قصَصِ القُرآن الكريم مكانةَ النَّصيحة ، وهدفَها ، وأدبَها ، وكيفيَّة إهدائِها إلى ذويها في

ضوءِ أنوارِ القصَّةِ القرآنيَّة التي تندّي الأرواحَ ، وتُنعشُ القلوبَ الظَّامئة لترِدَ مواردَ النَّصيحةِ ، وتروي غلّتها منها .

* ومن قَصَص النُّصحِ التي ألْهَمَنا اللهُ أن نوردها في هذا الكتاب : نُصْحُ أُختِ موسى عليه السَّلام ؛ ونُصْحُ الرَّجلِ الذي أخبرَ موسى بمَكْرِ الملأ الذين يأتمرون بقتله ، ونُصحُ حبيب النجَّار ذلك الرَّجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى .

* ونحنُ مرسلو القول في إبرازِ هذه القصص[1] المهمَّة ، لتكون خيرَ زادٍ لخير مَعَاد ، وخيرَ هديّةٍ لطلاّب النَّصيحةِ ، ولكي يخصَّنا أهلُ النُّصح بدعوةٍ صالحةٍ في ظهر الغَيْبِ ، لعلَّ هذه الدَّعوةَ تنفعُنا بإذنِ الله .

* * *

---

(١) هناك قَصَصٌ كثيرةٌ في القرآن الكريم حول النُّصح والنَّصيحة من مثل : نصح نوحٍ عليه السَّلام لابنه ، ونصحُ إبراهيم عليه السَّلام لأبيه ، ونصحُ الرَّجلِ لصاحبه في سورة الكهف ، ونصحُ الأخ الأوسط في سورة القلم وغيرها كثير .

الفصل الثّاني

قصّةُ نصيحةِ أختِ موسى عليه السّلام

* هذه فتاةٌ ناصحةٌ كريمةُ الأعراقِ ، وهبَها اللهُ حكمةً وحسنَ رويَّةٍ ، فقد كانت من ذواتِ الذَّكاء والدِّراية بحسن فَهْم الأمور ، والتَّصرُّفِ الهادىء في المواقفِ الرَّهيبة الحسَّاسة .

* وعلى الرَّغم من أنَّ أخت[1] موسى هذه ، لم تَرِدْ سيرتُها مفصَّلةً في القرآن الكريم ، إلا أنَّ ذِكْرها قد وردَ في معرضِ قصَّة أخيها موسى عليه السَّلام في مرحلةِ إرضاعهِ ، إلاَّ أنَّنا وجدنا دروساً كثيرةً يمكن أن تُستخلص من سيرتها

---

(١) قال المفسِّرون : اسمها كلثم ، وقيل : كلثوم ، وقيل : مريم ، وجاء ذكرها في سورة طه والقصص .

المِعْطاءِ المِعْطارِ ، لتكون قدوةً طيِّبةً للبناتِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ، وفي كلِّ عَصْرٍ ومِصْرٍ .

* وُلِدَ نبيُّ اللهِ موسى ، في الوقتِ الذي كان فيه فرعونُ مصرَ يقتلُ ذُكورَ بني إسرائيل ، وكان فرعونُ حَذِراً محترزاً يقتلُ مَنْ وُلِدَ منهم ، ولكن لن يَنْفَعَ حَذَرٌ من قَدَرٍ ؛ لأنَّ أجلَ اللهِ إذا جاءَ لا يؤخَّرُ ، ولكلِّ أجلٍ كتابٌ .

* وأرادَ فرعونُ بقوَّتِهِ أنْ ينجوَ من موسى ، فما نفعَهُ ذلك مع قَدَرِ الخلاَّق العظيم العليمِ ، بل سيكونُ هذا المولودُ الميمونُ ذي الأنوار النَّبويّة ، والجلالة الموسويّة من النَّاشئين في دار فرعون ، واللهُ غالبٌ على أمرِهِ .

* وُلِدَ موسى ، فخافَتْ عليه أُمُّه خوفاً شديداً ، وأحبَّته حُبّاً زائداً ، وكان موسى عليه السَّلام لا يراهُ أحدٌ إلاَّ أحبَّه ، فالسَّعيدُ مَنْ أحبَّهُ طبعاً وشرعاً .

* ولكنَّ أُمَّ موسى كانت تعلمُ مصيرَ هؤلاءِ الأطْفالِ عند فرعون الغاشم الظَّالم ، فلمّا ضاقَتْ أمامها المذاهب ، أُلْهِمَتْ في سِرِّها ، وأُلقيَ في خلدها ، ونُفِثَ في روعها أن

تُرضعَهُ ، فإذا خافَتْ عليه تُلقيه في النّيل ، ولا تخَفْ ولا تحزَنْ فإنَّ اللهَ سيردُّهُ إليها ، وسيكونُ من المرسلين كما قال : ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص : ٧] ؛ اللهُ أكبرُ ما أعظمَ هذه البشارة!! سيكون هذا الغلام من المرسلين[1] .

---

(١) من اللطائف الحلوة في هذا المقام ، ما حكاهُ العلاّمة القرطبيُّ عن الأصمعيّ ـ رحمه الله ـ أنّه قال : سمعتُ جاريةً عربيَّةً تُنشدُ :

أستغفرُ اللهَ لذنبي كلِّه ... قتَلْتُ إنساناً بغيرِ حِلِّهِ
مثلَ الغزالِ ناعماً في دله ... انتصَفَ الليلُ ولم أُصَلِّهِ

فقلتُ : قاتلكِ اللهُ ما أفصحكِ ؟!

فقالت : ويحك ، أو يعدُّ هذا فصاحةً مع قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص : ٧] ، فقد جمعَ في آيةٍ واحدةٍ بين أمرَيْن ، ونهيَيْن ، وخبرَيْن ، وبِشارتَيْن . (تفسير القرطبي ١٣/٢٥٢) .

* واستسلمت أُمُّ موسى للعزيز الرَّحيم الذي عَلِمَ حالَها ، وكانت دارُها على مقربةٍ من النِّيل ، فاتَّخذَتْ تابوتاً ، ومهَّدَتْ فيه مَهْداً ، ثمَّ جعلَتْ تُرضعُه ، فإذا دخلَ عليها أحدٌ ممَّنْ تخافُه ، وضعَتْه في ذلك التابوت ، وسيَّرته في الماء ، وربطته بحبلٍ عندَها .

* وفي بعض الأيّام ذُهِلَتْ عن ربطهِ ، فذهبَ مع الماءِ حتى مرَّ بدارِ فرعون ، فالتقطهُ آلُ فرعون ، وأحبَّته امرأتُه آسية بنتُ مزاحم ، وهمَّ فرعونُ بقتله ، لكنَّها جَعَلَتْ تذبُّ عنه ، وتحبِّبُه إلى فرعون فقالت : ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾ [القصص : ٩] .

* أمَّا أُمُّ موسى فقد كادت تسألُ عنه ، وتخبرُ أنَّه ذهب لها وَلَد ، وذلك من شدَّة وَجْدِها وحُزنها وأسَفِها عليه ، لولا أن ثبَّتَها اللهُ وصبَّرَها .

* وفي لحظة استسلام للهِ قالت لابنتها ـ وكانت كبيرةً عاقلةً تعي ما يُقال لها ـ : اتَّبعي أثرَ موسى ، وخُذي خبرَه ، واطلبي لي شأنَه في نواحي البلد ، واعرفي مصيرَه ، فما عدتُ أصبرُ على فراقه .

* وانطلقتْ أُختُ موسى تمشي في حَذَرٍ ، وهي تتابعُ الأحداثَ فيما حولَها ، وحانَتْ منها التفاتةٌ نحو قَصْرِ فرعون ، فأبصرَتْ أخاها عن بُعْدٍ دون شعور آل فرعون بذلك ، وعرفَتْ أنَّه أصبحَ بدار فرعون[1] ، وجعلت تنظرُ إليه وكأنَّها لا تُريده .

واستقرَّ موسى عليه السَّلام بدار فرعون ، وأحبَّته امرأته بعدما استوهبَتْه منه ، وعرضوا عليه المراضعَ اللواتي في داره ، فلم يقبَلْ منهنَّ ثدياً ، فخرجوا إلى السُّوق لعلَّهم يجدوا امرأةً تصلحُ لرضاعته ، وهناك رأَتْهُ أُختُه كلْثَم ، ولم تُظهر ذلك ، ولم يشعروا بها ، وكانوا في حيرةٍ شديدةٍ ، وغمٍّ أشدّ ، إذ خافوا على موسى من الهلاك لأنَّه لم يقبلْ ثدي واحدةٍ من المراضع .

* وهنا تظهرُ أختُ موسى النَّاصحة العاقلة ، وعلاماتُ الذَّكاء والحنكة تبدو عليها لمّا رأتهم حائرين فيمن يُرضع هذا

---

(١) لعلَّ أخت موسى كانت معتادة دخول القصر الفرعوني .

الغلام المُحَبُّ المحبوبُ ، قالت لهم : ألا أرشدكم إلى أسرةٍ كريمةٍ ترعاهُ وتتعهَّدُه بالرَّضاع والتَّربية والنُّصح ؟! وذكر هذا العرض القرآن الكريم على لسانها : ﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ [القصص : ١٢] .

* كانت هذه الفتاةُ الحصيفةُ تتحدَّثُ بلسان اليقين ، وهي ترى أخاها موسى يرفضُ كلَّ ثدي ، وعلمَتْ أنَّ اللهَ سيردّه إلى أمِّها ، ولهذا نطقَتْ بلسانِ النُّصحِ : ﴿ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾[1]

---

(١) قال صاحبُ الفتوحات الإلهيّة :

قوله : ﴿ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ أي : لا يمنعونه ما ينفعُه في تربيته وغذائه ، والنُّصح : إخلاصُ العمل من شوائب الفساد .

وقيل : لمّا قالت : ﴿ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ ؛ قالوا : إنَّكِ قد عرفتِ هذا الغلام فدلّينا على أهله .

فقالت : ما أعرفُه ، ولكن قلتُ : وهم للملك ناصحون .

وقيل : إنَّها قالت : إنّما قلتُ هذا رغبةً في سرور الملك ، واتصالنا به .

وقيل : قالوا لها : من هم ؟!

قالت : أمّي . =

لعلمها بالنَّتيجة ، وعِلْمها بأنَّ الله يفعلُ ما يريد .

* ويبدو أنَّ بعضَ القوم قد أوجسوا خيفةً من مقولةِ هذه الفتاة التي تتحدَّثُ بلسانِ العقلِ والنُّصح ، وتدلُّ على النُّصحاء في غلام لا تعرفُه ، ولقيته للمرّة الأولى بين أيديهم يرفضُ الأنداءَ والمراضعَ ، وهنالك أخذوها وشكُّوا في أمرها ، ولعبت بهم الهواجسُ والأفكارُ ، وقالوا لها : وما يدريكِ نُصْحَهم[1] لهذا الغلام ، وشفقتهم عليه ؟!

= قالوا : أو لأمّك ولد ؟!

قالت : نعم هارون ، وكان هارونُ وُلِدَ في السَّنةِ التي لا يقتل فيها الولدان .

قالوا : صدقتِ ، فأتينا بها ـ أي بأمِّكِ ـ .

فانطلقت إلى أُمِّها وأخبرتها بحال ابنها ، وجاءتْ بها إليهم ، فلما وجَدَ الصبيُّ ريحَ أمِّه ، قَبِلَ ثديها ، وجعل يمصُّه حتى امتلأ جنباه ريّاً .

(الفتوحات الإلهية للجمل ٦/ ١٢) نقلاً عن تفسير الخازن .

(١) روي أن هامان لمّا سمعَ قول أختِ موسى : ﴿وهم له =

فقالت بلسانِ الإلهام بديهةً : نصحُهم له وشفقتُهم عليه رغبتُهم في ظؤورة الملك وسروره ، ورجاء منفعتِهِ .

* هنالك أطلقوها وأرسلوها لما علموا نصحها الخالصَ من كلِّ شائبةٍ وهوًى ، وذهبوا معها إلى منزلهم ، ودخلوا بموسى على أُمِّه ، فأعطته ثديَها فالتقمهُ وأخذ يمصُّه ويرتضعُه ، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً ، وأثنوا على هذه النَّاصحة الكريمة التي أنقذَتْهم من حيرتهم ، وذهبَ البشيرُ إلى آسيةَ يعلمُها بذلك ، فاستدعَتْ أُمَّ موسى إلى منزلها ،

= ناصحون﴾ قال : إنّها لتعرفه وأهله ، فخذوها واحبسوها حتى تُخبر بحاله .

فقالت : إنّما أردتُ وهم للملك ناصحون .

فأمرها فرعون بأن تأتي بمن يكفله ، فأتَتْ بأُمِّه ، وموسى على يدِ فرعون يبكي طلباً للرَّضاع ، وهو يعلِّله شفقةً عليه ، فلما وجدَ ريحَها استأنسَ ، والتقمَ ثديها ؛ فقال لها : مَنْ أنتِ منه ، فقد أبى كلَّ ثدي إلا ثديك ؟!

فقالت : إنّي امرأة طيِّبة الريح ، طيِّبةُ اللبن ، لا أكادُ أوتى بصبي إلا قبلني ، فدفعه إليها . (تفسير البيضاوي) .

وعرضَتْ عليها أن تكون عندها ، فأبَتْ وقالت : أُرضعُه في بيتي لأنَّ لي زوجاً وأولاداً ، ولا أقدرُ على المقام عندكِ ، فأجابتها آسيةُ إلى ذلك وأحسنَتْ إليها ، وأعطَتْها عطاءً جزيلاً ، وهي لا تعرفُ أنَّها أُمُّه في الحقيقة ، ثمَّ أرسلَتْ موسى ، ورتَّبَتْ لها رواتبَ ، وأجرَتْ عليها النَّفقات والهِبَات والصِّلات والإحسان الجزيل[1] ، فرجعَتْ أمُّ موسى بولدها راضيةً مرضيَّةً ومعها ابنتُها الذكيَّة ، وقد أبدلها اللهُ من بعدِ خوفها أمناً ، فهي في عزٍّ وجاهٍ ، ورزق دارٍّ ، ولهذا جاء في الحديث الشريف : « مَثَلُ الذين يَغْزُون من أمتي ، ويأخذون الجُعْلَ ـ يعني : يتقوون على عدوِّهم ـ مثلُ أمِّ موسى تُرضعُ ولدها وتأخذُ أجرَها »[2] .

---

(١) قال القرطبي ـ رحمه الله ـ : ولم يبقَ أحدٌ من آل فرعون إلا أهدى إليها وأتحفها بالذَّهب والجواهر .

(٢) رواه أبو داود في مراسيله برقم (٣٣٢) ، والبيهقي (٩/ ٢٧) . والجُعْل : ما يجعله القاعد من الأجرة لمن يغزو عنه .

الفصل الثّالث

قصّةُ الرَّجُلِ النّاصحِ لموسى عليه السّلام

* حديثُنا عن ذاك الرَّجلِ المؤمن من آل فرعون الذي نصحَ موسى بالخروج من أرض الظَّالمين إلى مكانٍ آخر ، وهذا الرَّجل جزمَ الدَّارقطني بأنَّ اسمه « شَمْعَان » ، وقال : لا يُعرفُ شمعان بالشين المعجمة إلا مؤمن آل فرعون[1] .

* وملخَّص قصَّة خروج موسى ونُصْحِ شمعان له أنَّ موسى عليه السَّلام قد مرَّ ذات يوم في طرق المدينة ، وذلك في وقتٍ خَلَتْ فيه الطُّرُقاتُ من النَّاسِ ، ولعلَّ الأمرَ كان ليلاً كما نفهمُ

---

(١) انظر : التعريف والإعلام للسهيلي (ص ١٣١) .

من القرآن في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص : ١٨] ؛ وفي ذلك الوقتِ وجَدَ رَجُلَيْن يقتتلان ، أحدهما إسرائيلي ، والآخر مِصْري .

* قال المُفسِّرون : وكان السَّببُ أنَّ المصري الفرعوني أرادَ أن يُسخِّرَ الإسرائيليَّ في عمل ، فأبى عليه الإسرائيليُّ ، ولما رأى الإسرائيليُّ موسى استغاث به ، فجاء موسى ـ وكان قويّاً شديدَ البأس ـ فأخذَ بجمع يده ، فوكزَ المصري وكزةً كانت الضَّربة القاضية عليه ، وسقط قتيلاً لا حراكَ به ، فلمّا رآه كذلك ـ ولم يكن موسى يريدُ قَتْلَهُ ـ قال : ﴿ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص : ١٥] ، وراح يستغفرُ الله ممّا وقعَ فيه عن غير قَصْدٍ ، وغير ما يتوقَّع .

* وأصبحَ موسى عليه السَّلام في المدينة خائفاً يترقَّبُ ، يمرُّ في طرقاتها على حذرٍ ، وبينما هو في طريقه ، إذا الذي استنصرَهُ بالأمس يستصرخُهُ مرَّةً ثانيةً ، فأقبل عليه موسى وقال له : ﴿ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص : ١٨] ، أي : صاحبُ مخاصماتٍ ورجلُ فِتَنٍ .

* ومع هذا أرادَ أن يبطشَ بالذي هو عدوٌّ لهما ، لكنَّ الإسرائيلي ظنَّ من شدَّةِ خوفه ، ولما رأى من بأسِ موسى بالأمس أنَّه يريدُ أن يبطشَ به ، فقال له : ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾ [القصص : ١٩] .

* والتقطَ النَّاسُ كلمة الإسرائيلي ، وعرفُوا من فحواها أنَّ موسى هو الذي قتلَ المصري بالأمس ، وانتشرَ الخبرُ وشاعَ ، ووصل القصرَ الفرعوني ، فتذاكر آلُ فرعون في أمر موسى ، والقصاص منه ، فأرسل فرعون في طلبه ، ولكن قد سبقَهم إلى موسى رجلٌ ناصحٌ من طريق أقرب ساعياً إليه ، مشفقاً عليه ، مُخلصاً له ، وجاءه من أقصى المدينة يسعى ويشتدُّ ليُبلِّغَ موسى أنَّ أشرافَ فرعون ووجوه دولته يتشاورون ليقتلوه ، وقال : ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص : ٢٠] ، فقد وصفه ربُّنا عزَّ وجلَّ بالرُّجوليّة لأنَّه خالفَ الطَّريق ، فسلكَ طريقاً أقرب من الذين بُعثوا وراءَه ، فسبقَ إلى موسى ناصحاً ومحذِّراً كَيْدَ الخائنين .

* وامتثلَ موسى عليه السَّلام نُصْحَ الرَّجل القويّ صاحبَ الصِّفة الرُّجوليّة ، وقَبِلَ نصيحتَه وخرجَ من المدينةِ خائفاً يترقَّب ، ودعا الله في إخلاصٍ ويقين : ﴿ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص : ٢١] ، ونجَّاه اللهُ عزَّ وجلَّ ممّن أرادوا الكيدَ به ، وأسبغَ عليه نِعَمَهُ ظاهرةً وباطنةً ، وجعَلَهُ من المُرسَلين من أولي العزمِ من الرُّسلِ ، كما ذكرت ذلك سور القرآن الكريم ، والتي حكت قصَّتهُ في أكثرَ من ثلاثينَ سورة بين مكيّة ومَدَنيّة .

* * *

الفصل الرّابع

قصّةُ حبيب النجّار

* في قوله تعالى : ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ [يس : ٢٠] ؛ يقول المفسِّرون : هو حبيب النجّار[1] .

* وقال المفسِّرون : المدينةُ المقصودُ بها القرية في قوله تعالى : ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس : ١٣] ، هي إنطاكية في قول جميع المفسِّرين ؛ أرسلَ اللهُ إليهم ثلاثة رسلٍ ليكفُّوا مَلِكَ القريةِ وأهلَها عن عبادة الأصنام .

---

(١) قال هذا : ابنُ عبّاس رضي الله عنهما ، وقَتادة ، ومجاهد ، ومُقاتل ؛ وانظر : تفسير الطّبري (٢٢/١٠٢) ، وابن كثير (٣/٦٩٦) ، والقرطبي (١٧/١٨) ، والتعريف والإعلام للسُّهيلي (ص ١٤٤) .

* وقد همَّ أهلُ القريةِ بقتلِ رُسُلهم ، فجاءَهم رجلٌ من أقصى المدينة يسعى لينصرهم من قومه وينصحَهم ، وهو حبيبٌ[1] ، وكان يعمل الحبال أو الحرير ، وكان رجلاً سقيماً قد أسرعَ فيه الجُذامُ ، وكان كثير الصَّدقة يتصدَّقُ بنصفِ كَسْبِه ، مستقيمَ النَّظرة .

* قال القرطبيُّ ـ رحمه الله ـ : كان حبيبٌ مجذوماً ، ومنزلُه عند أقصى أبواب المدينة ، وكان يعكفُ على عبادة الأصنام سبعين سنة ، يدعوهم لعلَّهم يرحمونه ويكشفون ضُرَّه ، فما استجابوا له ، فلما أبصر الرُّسل ، ودَعَوْهُ إلى الله ، قال : هل من آية ؟!

قالوا : نعم ، نحن ندعو ربَّنا القادر فيُفرِّجُ عنكَ ما بِكَ .

فقال : إنَّ هذا لعجيب ، إنّي أدعو هذه الآلهة سبعين سنة

---

(١) قال ابن عبّاس : اسم صاحب يس حبيب النجّار قتله قومه (تفسير ابن كثير ٣/ ٦٩٦) .

لتُفرِّجَ عنّي فلم تستطع ، فكيف يُفرِّجُهُ ربُّكم في غَداةٍ واحدةٍ ؟!!

قالوا : نعم ، ربُّنا على ما يشاء قديرٌ ، وهذه لا تنفعُ شيئاً ولا تضرُّ .

فآمن ودعوا ربَّهم فكشفَ اللهُ ما بهِ .

* وأخذ حبيبٌ يتعبَّدُ الله عزَّ وجلَّ ، فلما همَّ قومه بقتل هؤلاء الرُّسل ، جاء مُسرعاً بأقصى سرعةٍ من أقصى المدينة وهو يحرصُ على نُصْحِ قومه ، وليحضَّهم على سماعِ نصيحةِ الرُّسل الذين أتوهم يدعونهم إلى توحيد الله عزَّ وجلَّ ، وناداهم بألفة النَّصيحة بقوله : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس : ٢٠] ، فقوله : ﴿يا قوم﴾ تأليفاً لقلوبهم واستمالةً لها بقبول النَّصيحةِ وسماع نُصحهِ ، ودعوة إلى اتِّباع نُصحهِ ونُصْحِ الرُّسلِ خاصَّةً .

* ثمَّ إنَّ حبيباً هذا كرَّرَ القولَ تأكيداً للنُّصح ، وبياناً للسَّبب ، وتأييداً لما شَهِدَ به ودعا إليه فقال : ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [يس : ٢١] ، والمعنى : اتَّبعوا مَنْ

نصحكم نُصْحاً يعودُ عليكم بالخيرِ ، وليس يريدُ منكم أموالكم ، ولا أجراً على نُصحهِ لكم ، وإرشاده إيّاكم .

* قال السَّعدي في تفسيره ما مفاده : فكأنَّ قومَه لم يقبلوا نُصحه ، بل عادوا لائمين له على اتِّباعِ الرُّسلِ ، وإخلاص الدِّين لله وحده ، فتلطَّفَ في الإشارة لهم كأنَّه ينصحُ نَفْسَهُ ، ويختار لهم ما يختار لنفسه ، فقال في نوع من التَّقريع والتَّنبيه لهم على ترك عبادة الواحد القهَّار : ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس : ٢٢ـ٢٤] ، جَمَعَ حبيبٌ في هذا الكلام بين نُصْحِهم والشَّهادة للرُّسل بالرِّسالة ، والاهتداء والإخبار بتعيُّنِ عبادة الله وحده ، وذكر الأدلَّة عليها ، وأنَّ عبادةَ غيره باطلةٌ ، وذكر البراهين عليها ، والإخبار بضلال مَنْ عبدها[1] .

* وبعد هذا النُّصح لهم والتَّذكير أعلنَ إسلامَه ، وأشهرَ إيمانَه فقال : ﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾ [يس : ٢٥] ،

---

(١) انظر تفسير السَّعدي (ص ٦٤٠) بتصرف .

إنِّي آمنتُ بربِّكم الذي خلقكم ، فاسمعوا قولي ، واعملوا بنصيحتي .

* قال المفسِّرون : لما قال لهم ذلك ونصحهم ، وأعلنَ إيمانه ، وثبوا عليه وثبةَ رجلٍ واحدٍ فقتلوه ، ولم يكن له أحدٌ يمنعُ أذاهم .

* قال الطَّبريُّ : وثبوا عليه فوطئوه بأقدامهم حتى مات . وقيل : رمَوْهُ بالحجارة حتى مات .

* ترى هل توقَّفت نصيحةُ حبيب النجَّار هذا بعد موته ؟

سنرى أنَّه نصحَهم بعد موته ، إذ أنَّه لمّا مات قال اللهُ له : ادخلِ الجنَّة مع الشُّهداءِ الأبرارِ جزاءً على صِدْقِ إيمانكَ ونُصحكَ وفوزكَ بالشَّهادة ؛ فدخلَ الجنَّةَ فهو يُرْزَقُ فيها ، قد أذهبَ اللهُ عنه سقم الدُّنيا وحُزْنَها ومصابَها ، فلمّا دخلَ الجنَّة وعاينَ ما أكرمهُ اللهُ بها لإيمانه ونُصحه وصبره ، تمنّى أن يعلمَ قومَه بحاله ، ليعلموا حُسْنَ مآله ، كما ذكر الله عزَّ وجلَّ : ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس : ٢٦ـ٢٧] .

والمعنى : يا ليت قومي يعلمون السَّببَ الذي من أجله غَفَرَ لي ربِّي ذنوبي ، وأكرمني بدخول الجنَّة ؛ قال ابن عبّاس رضي الله عنهما : نَصَحَ قومه في حياته ونصحَهم بعد مماته ؛ وقال أيضاً : نصحَ قومه حيًّا وميتاً[1] .

* لقد قتله قومه الكافرون ، ولكنَّ نُصحَه لم يتوقَّف ، إذ نصحهم حيّاً[2] وميتاً ، نصحَ لهم في حياته ، وبعد موته لما علمَ ما في النَّصيحة من خيرٍ ما بعده خير ، وهل هناك خيرٌ أعظم من الجنَّة ومرضاة العزيز الرَّحيم ؟!!

---

(١) انظر المصادر الآتية مع الجمع بينها والتَّصرّف : تفسير القرطبي (١٨/١٥) ، وتفسير أبي السّعود (٢٥٢/٤) ، وتفسير ابن كثير (٦٩٦/٤ و ٦٩٧) ، وتفسير السَّعدي (ص ٦٤٠ و ٦٤١) ، والفتوحات الإلهيّة للجمل (٢٩٠/٦ و ٢٩١) ، وغيرها كثير .

(٢) على المؤمن ألا يستكين أمام الكافر ، وعليه نُصحه وإرشاده إلى الإيمان بالله ، والإقرار بوحدانيته ، وشكر نعمه وأفضاله عليه .

* قال ابنُ أبي ليلى : سُبَّاقُ الأُمم ثلاثةٌ لم يكفروا بالله طرفة عَيْنٍ : عليُّ بن أبي طالب وهو أفضلُهم ، ومؤمنُ آل فرعون ، وصاحبُ يس ، وهم الصدِّيقون[1] .

* * *

(١) انظر : الفتوحات الإلهية (٦/ ٢٩٣) .

الباب الخامس

النصيحة في الهدي النبوي الكريم

الفصلُ الأوَّلُ : ترغيبُ النَّبي ﷺ في النَّصيحةِ.

الفصلُ الثَّاني : أنواعُ النَّصيحةِ في حديثِ النَّبي ﷺ.

الفصلُ الثَّالثُ : من ألوانِ النَّصيحةِ في الحياةِ الاجتماعيَّةِ .

الفصلُ الأوَّل

ترغيبُ النَّبي ﷺ في النَّصيحةِ

* النُّصحُ والتَّناصحُ واجبٌ ديني جليلُ المِقدارِ ، عظيمُ النَّفعِ ، فهو من حيثُ المبدأ من أصْلِ الدِّين ، وهو عملٌ إنسانيٌّ يولِّدُ الأُلفةَ والتَّرابطَ بين النَّاسِ ، ويوحِّدُ القلوبَ المتنافرةَ ، وينظمها في سِلْكِ المودَّةِ القائمِ على النَّصيحةِ .

* والنُّصحُ أدبٌ عظيمٌ من آداب الإسلام ومعاليه ، يتبوَّأُ مرتبةً سنيَّةً في مكارمِ الأخلاقِ الإسلاميَّةِ ، فهو داني القطوف دائماً ، ذو ظلٍّ ظليلٍ ، وخيرٍ نبيلٍ ، فالنَّاصحُ المسلمُ جديرٌ بكلِّ خيرٍ ، وخليقٌ بالاحترامِ والتَّوقير ، فكيف إذا كان النُّصحُ من سيِّدِ الخَلْقِ ، وسيِّدِ الأوَّلين والآخرين ، محمد رسول الله ﷺ ؟! .

* لقد كان منهجُ التَّربيةِ المحمَّديّة العظيمةِ منهجَ حياةٍ دائمةٍ ، وسعادةٍ في الدَّارَيْنِ ، إذ كانت النَّصيحةُ جُلَّ عنايته ﷺ ، فقد نصحَ الأُمَّةَ ، وأخرجَها ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم : ١-٢] ، وأخبرَ الأُمَّةَ بأنَّ الدِّين النَّصيحة ، وذلك ليسلكوا الطَّريقَ الصَّحيحةَ ، ويأمَنوا الفضيحة ، ويأخذوا الملّة الصَّريحةَ التي تُدخلُهم جنَّاتٍ فسيحة .

* ونلحظُ في الهَدي النَّبويّ أنَّ الحبيبَ الأعظمَ ﷺ جعلَ النَّصيحةَ في الذّروة العُليا من الدِّين إذ قال : « الدِّينُ النَّصيحةُ »[1] ، حيثُ أفادَ ﷺ بأنَّ النَّصيحةَ مفتاحُ كلِّ خيرٍ جاءَ به الدِّينُ الحقُّ المُنزَّلُ عليه ، وعلى الأنبياء الكرام من قَبْلِه ، إذ كانت النَّصيحةُ ومواردها منهجاً وضيئاً سلكه الأنبياءُ والمرسلون لأداءِ هذه الأمانة العظمى ، والهديّة الأسمى ، ذات المكانة الأسنى .

---

(١) سيأتي تخريج الحديث والتعليق عليه بإذن الله .

* وفي توجيهات الحبيب الأعظم ﷺ وفي هديه القويم الكريم نفحاتٌ عَطِراتٌ ، تنفحُ برذاذها قلوبَ أصحابه الكرام ، إذ بلغَ من اهتمامه بالنُّصحِ أن اعتبرَهُ عمودَ الحياةِ الأدبيَّة والاجتماعيَّة الرَّاشدةِ السَّعيدةِ ، وجعلَهُ كذلك قرينَ أركانِ الإسلامِ المشهورة ، فكان ﷺ يُبايعُ مع هذه الأركان على النُّصح ، كما جاء في الصَّحيحَيْن ، عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : بايعتُ رسول الله ﷺ على إقامِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاة والنُّصح لكلِّ مسلم[1] .

* وقد أشار الحبيبُ الأعظمُ ﷺ إلى النَّصيحةِ إشارةً قويَّةً لكي تكونَ الرُّوح المتبادلة بين المسلم وأخيه ، وبين أفراد المجتمع فقال : « إذا استنصحَ أحدُكم أخاهُ فلينصح له »[2] .

---

(١) متَّفقٌ عليه ؛ أخرجه البخاري في الإيمان برقم (٥٧) ، وأخرجه أيضاً في مواضع برقم (٥٢٤ و ١٤٠١ و ٢١٥٧ ، و ٢٧١٥) ، ومسلم في الإيمان أيضاً برقم (٥٦) ، والنّسائي (٧/ ١٥٢) .

(٢) أخرجه البخاري في البيوع (٢/ ٧٥٧) .

* ولقد عرف الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم آداب النَّصيحةِ في الهَدي النَّبوي ، ووعوا مكانتها ، واجتنوا ثمارها ، وسار مَنْ بعدهم على هذا النَّهج السَّلف الصَّالح من التَّابعين وأتباع التابعين ، وكانتِ النَّصيحةُ هي الحَبْلُ الذي يعتصمُ به مَنْ أحَبَّ الخيرَ والخيرات ، ومن أحبَّ التخلُّقَ بالآدابِ ومحاسن الصِّفات .

* وكان الحبيبُ المصطفى ﷺ يسلكُ في النَّصيحةِ سُبُلَ الرِّفقِ والتَّلطُّفِ ، ومن ذلك أنَّه قال لعمِّه أبي طالب لما احتُضِرَ : « يا عمّ ، قُلْ لا إله إلا الله كلمةً أشهدُ لك بها عند الله »[1] .

* وكان من هديه ﷺ تكرار النَّصيحة من قبل التَّذكير ، وكانت في أوقاتٍ مناسبة لئلا ينفرَ المنصوحُ ، ويسأمَ ويكرَهَ النُّصحَ والإرشاد ، وبالتّالي تكونُ النَّصيحةُ منعدمةَ الفائدةِ .

---

(١) متّفق عليه ، أخرجه البخاري في الجنائز برقم (١٢٩٤) ، ومسلم في الإيمان برقم (٢٤) من حديث طويل .

* ويفصِّلُ ابنُ حزمٍ ـ رحمه الله ـ الدَّعوةَ الحسنَةَ إلى النَّصيحةِ ، وانتهاز الوقت الملائم لها ، ولا يخرجُ في تفصيله ذلك عن الهدي النَّبويّ ، والآدابِ المحمَّديّة ، فيقولُ ناصحاً مُعلِّماً :

فالأولى : فرضٌ وديانةٌ ؛

والثَّانية : تنبيهٌ وتذكيرٌ ؛

وأمّا الثَّالثة : فتوبيخٌ وتقريعٌ ، وليس وراء ذلك إلا التركل واللكام ؛ اللَّهم إلا في معاني الدِّيانة ، فواجبٌ على المرء ترددُ النُّصحِ فيها ، رضيَ المنصوحُ أو سخِطَ ، تأذَّى النَّاصحُ بذلك أو لم يتأذَّ .

* وإذا نصحتَ فانصَحْ سِرّاً لا جَهْراً ، وبتعريضٍ لا تصريح ، إلاَّ أن لا يفهمَ المنصوحُ تعريضكَ ، فلا بدَّ من التَّصريح .

ولا ينصح على شرط القبولِ منكَ ، فإن تعديتَ هذه الوجوه ، فأنتَ ظالمٌ لا ناصحٌ ، وطالبُ طاعةٍ ومُلْكٍ ، لا مؤدّي حقٍّ وأمانةٍ وأخوَّةٍ ، وليس هذا حكمُ العقلِ ولا حكمُ

الصَّداقة ، لكن حكمُ الأمير مع رعيَّته والسَّيِّدُ مع عبيده[1] .

* وكان الحبيبُ الأعظمُ ﷺ حليماً في نُصحِهِ ، يأمرُ بذلك ، ويفعله هو ؛ مِنْ ذلك ما جاء في الصَّحيح عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال : قامَ أعرابيٌّ فبالَ في المسجد ، فتناوله النَّاسُ ، فقال لهم النَّبي ﷺ : « دعوه وهريقوا على بوله سَجْلاً من ماء ، أو ذَنُوباً من ماء ، فإنَّما بُعِثْتُم ميسِّرين ولم تُبعثوا معسِّرين »[2] .

* ونلمحُ من هذا الهدي علائمَ النُّصحِ الممزوجة بالحِلْمِ النَّبويّ التعليمي لهذا الأعرابي الذي لم يُحسن أدبَ المسجد ، ولم يحافظ على الآدابِ العامَّةِ ، فأمرهم بنُصحه وتعليمه ، وتيسير الأمر ليكون للنَّصيحة وَقْعٌ في نفسه ، كما علَّمهم أنَّ الدَّعوة إلى يُسْرِ الدِّين تحتاجُ إلى المُناصحةِ اللَّطيفة ؛ وإيثارِ

---

(١) انظر : الأخلاق والسير في مداواة النفوس (ص ٤٥) لابن حزم ، طبعة بيروت ١٩٧٩ م .

(٢) أخرجه البخاري في الوضوء برقم (٢١٧) .

الحكمة ، لأنَّ ديدَن النَّاصح الصَّادق المخلص ، أن يعمد إلى تيسير الدِّين بشرط ألا يكون في ذلك ضررٌ على الآخرين ، أو مفسدةٌ في الدِّين .

* هذا والسِّيرةُ النَّبويّة ، سيرةُ الحبيب المصطفى ﷺ تزخرُ بالنُّصح والتعليم من أوَّلها لآخرها ، وفي كلِّ وقفةٍ من وقفاتها الوضيئة تجدُ موقفاً عظيماً من مواقف النُّصح ، حتى قبل نزول الوحي ، وعند نزول الوحي ، إذ وقف الحبيبُ الأعظمُ ﷺ ناصحاً قومه ليتركوا ما ألفوا عليه آباءهم ، ويعبدوا الواحد القهَّار .

* وكم نَصَحَ عدداً من أكابر المجرمين بأن يتركوا غيَّهم وعنادهم ، وكم كان حريصاً على هداية النّاس ، فصلَّى الله عليه وسلَّم ، أوليس اللهُ قد قال في وصفه : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

* وفي الأحاديث النَّبويّة الشَّريفة شواهدُ كثيرةٌ على ترغيب الحبيب المصطفى ﷺ في النَّصيحة ، ومنها قوله : « قال الله

عزَّ وجلَّ : أحَبُّ ما تعبَّدَني به عبدي النُّصح لي »[1] ، وقوله : « حقُّ المسلم على المسلم ستّ : إذا لقيته فسلِّم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطسَ فحَمِدَ الله فشمِّته ، وإذا مرض فعُدْهُ ، وإذا مات فاتبعه »[2] .

* * *

(١) أخرجه الإمام أحمد عن أبي أمامة (٥/ ٢٥٤) .
(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة (٢١٦٢) .

الفصل الثّاني

أنواعُ النَّصيحةِ في حديث النَّبي ﷺ

* أخرجَ الإمامُ مسلم وغيره عن تميم الدّاري رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال : « الدِّينُ النَّصيحةُ » .

قُلنا : لمن يارسول الله ؟

قال : « لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمَّة المُسلمين وعامَّتهم »[1] .

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان برقم (٥٥) ، وأبو داود في الأدب برقم (٤٩٤٤) ، والتّرمذي في البِرّ برقم (١٩٩٠) ، والنّسائي في البيعة (٧/ ١٥٧) برقم (٤٢٠٠) ، وصحَّحه ابنُ حبّان (٤٥٧٥) ، وغيرهم .
و « الدِّينُ » : يأتي في اللُّغة دالاً على معانٍ هي : =

* وفي هذا الحديث العظيم ذِكْرٌ لأقسامِ النَّصيحةِ وأنواعها ، وهي على التَّرتيب الآتي كما نرى :

● النَّصيحةُ لله عزَّ وجلَّ .

● النَّصيحةُ لكتاب الله الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه .

= الجزاء ، الحِساب ، الطّاعة ، الخضوع ، الذُّلّ ، التَّعبُّد ، العادة ، الشّأن والحال ، السُّلطان ، القهر ، الورع ، الإخضاع ، الإذلال ، الاستعباد ، الحكم ، القضاء ، النّظام ، والقانون المتَّبَع .

و « الدِّين » : عند الله هو الإسلام الشّاملُ لأحكام شريعته في أوامرها ونواهيها ، ووصاياها ومواعظها وآدابها ، وأخلاقها .

و « النَّصيحةُ » : هي إعطاء أو معاملةُ النّاصح غيره بأحسن ما هو له من حقّ أو واجب ، أو أحسن ما يطلبه أو ينفعه أو يصلحه ، ويكون ذلك بخلوص ما يتقدّمه دون عَيْب أو مخالفة لمقتضى الحقّ ، أو الواجب ، أو نحو ذلك ؛ والنَّصيحة تشمل كلّ ما فيه إرادة الخير للمنصوح .

● النَّصيحةُ لرسول الله ﷺ .

● النَّصيحةُ لأئمَّة المسلمينَ .

● النَّصيحةُ لعامَّةِ المسلمينَ .

* قال الحافظُ ابنُ حجر ـ رحمه الله ـ في « الفَتْح » : هذا الحديث من الأحاديث التي قيل إنَّها أحدُ أرباع الدِّين[1] .

* وقال الحافظُ أبو نُعيم ـ رحمه الله ـ : هذا حديثٌ له شأْنٌ ؛ ذكر محمد بن أسلم الطُّوسي أنَّه أحدُ أرباعِ الدِّين .

* وفي هذا الحديث العظيم يخبرُنا الحبيبُ المصطفى ﷺ أنَّ الدِّين النَّصيحة ، وهذا يشيرُ إشارةً واضحةً لا لُبْسَ فيها ولا غموض إلى أنَّ النَّصيحةَ تشمل خِصالَ الإسلام والإيمانِ والإحسانِ .

* فمعنى النَّصيحة لله عزَّ وجلَّ تقتضي القيام بأداءِ واجباته على أكمل وجوهها ، وهو مقامُ الإحسان ، فلا يكمل النُّصح لله من دون ذلك ، ولا يتأتَّى ذلك دون كمال المحبَّة الواجبة

---

(١) فتح الباري (١/١٣٨) .

والمستحبَّة ، ويستلزم ذلك الاجتهاد في التقرُّب إليه بنوافل الطَّاعات على هذا الوجه ، وترك المحرَّمات والمكروهات على هذا الوجه أيضاً .

* قال الفُضيل بنُ عياض ـ رحمه الله ـ : الحبُّ أفضلُ من الخوف ، ألا ترى إذا كان لك عَبْدان أحدهما يحبُّكَ ، والآخرُ يخافُكَ ، فالذي يحبُّكَ فيهما ينصحُكَ شاهداً كنتَ أو غائباً لحبِّه إيَّاكَ ، والذي يخافكَ عسى أن ينصحكَ إذا شهدتَ لما يخاف ، ويغشُّكَ إذا غبتَ ولا ينصحك[1] .

* وقال عبد العزيز بنُ رفيع : قال الحواريون لعيسى عليه السَّلام : ما الخالصُ من العمل ؟

قال : ما لا تحبُّ أن يحمدَكَ النّاسُ عليه .

قالوا : فما النُّصحُ لله ؟

قال : أن تبدأ بحقِّ الله تعالى قبل حقِّ النّاس ، وإن عرَضَ

---

(١) انظر : جامع العلوم والحكم (١/٢١٩) .

لك أمران : أحدهما لله ، والآخر للدُّنيا ، بدأتَ بحقِّ الله تعالى[1] .

* إذاً معنى النَّصيحة لله عزَّ وجلَّ : توحيدُه ، ووصفُه بصفاتِ الكمال والجلال ، وتنزيهه عمّا يضادّها ويخالفها ، وتجنّب معاصيه ، والقيام بطاعاته ، ومحابّه بوصف الإخلاص ، والحبّ فيه ، والبغض فيه ، وجهاد مَنْ كفرَ به تعالى ، وما ضاهى ذلك ، والدُّعاءُ إلى ذلك والحثُّ عليه .

* وأمّا النَّصيحةُ لكتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فشدَّةُ حبِّه وتعظيمُ قَدْرِهِ ، إذ هو كلامُ الخالق وتنزيلُه ، لا يشبهه شيءٌ من كلامِ الخَلْق ، ولا يقدرُ أحدٌ على مثله من الخَلْق ، ثمَّ شدَّةُ الرَّغبة في فهمه ، وشدَّةُ العناية لتدبُّره ، والوقوفُ عند تلاوته وتعظيمها وتحسينها والخشوعُ عندها ، وإقامةُ حروفه في التِّلاوة ، وطلبُ معاني ما أحبَّ مولاهُ أن يفهمَه عنه ، ويقومُ به له بعد ما يفهمُه ، ويذبُّ عنه تأويل المحرِّفين ، وتعرُّضَ

---

(١) انظر : جامع العلوم والحكم (١/ ٢١٩) .

الطَّاعنين ، والتَّصديق بما فيه ، والوقوف مع أحكامه ، وتفهُّم علومه وأمثالِهِ ، والاعتبار بمواعظِه ، والتفكُّر في عجائبه ، ونشر علومه ، فالنَّاصحُ من العبادِ يفهمُ وصيَّةَ مَنْ ينصحُه ، وإذا ما وردَ عليه كتابٌ منه ، عُنِيَ بفهمه ليقوم عليه بما كتبَ به فيه إليه ، فكذلك النَّاصحُ لكتابِ الله عزَّ وجلَّ ، يُعنى بفهمه ليقومَ لله بما أمرَ به كما يحبُّ ويرضى ، ثمَّ ينشرُ ما فهم في العبادِ ، ويُديمُ دراسته بالمحبَّة له ، والتَّخلُّقِ بأخلاقه ، والتأدُّب بآدابه .

* ويمكن أن نوجزَ النَّصيحةَ لكتاب الله عزَّ وجلَّ بما قاله أبو عمرو بن الصَّلاح : النَّصيحةُ لكتاب الله : الإيمانُ به وتعظيمُه وتنزيهُه ، وتلاوتُه حقَّ تلاوته ، والوقوفُ مع أوامره ونواهيه ، وتفهُّمُ علومِه وأمثاله ، وتدبُّرُ آياته ، والدُّعاءُ إليه ، وذبُّ تحريف الغالين ، وطعنُ الملحدين عنه .

* وأمّا النَّصيحةُ لرسول الله ﷺ في حياته الشَّريفة ، فبذلُ المجهودِ في طاعته ونصرته ومعاونته ، وبذلُ المال إذا أراده ، والمسارعةُ إلى محبَّته وتصديقه على الرِّسالة ، والإيمانُ به ، وبما جاء به وتوقيرُه وتبجيلُه .

* وأمّا بعد وفاته : فالعنايةُ بطلب سُنَّته ، والبحثُ عن أخلاقه وآدابه ، وتعظيمُ أمره ، ولزومُ القيام به ، وبثُّ دعوته ونشرُ شريعته وإحياؤها ، ونفي التُّهمة عنها ، والإعراضُ عمَّن تديَّنَ بخلافِ سُنَّته ، واستثارةُ علومها ، والتَّفقُّه في معانيها ، والدُّعاءُ إليها ، والتلطُّفُ في تعلُّمها وتعليمها ، وإجلالُها والتأدُّبُ معها ، وموالاةُ مَنْ والاها . ثمَّ محبَّةُ مَنْ كان منه ﷺ بسبيلٍ من آلٍ ، أو قرابةٍ ، أو صِهْرٍ ، أو هجرةٍ ، أو نصرةٍ ، أو صحبة ساعةٍ من ليلٍ أو نهار على الإسلام ، والتشبُّه به في زيِّه ولباسه ، فالتشبُّه بالكرام عنوانُ الفَلاح والنَّجاح والرباح والصَّلاح .

* وأمّا النَّصيحةُ لأئمَّة المسلمين : فحبُّ صلاحهم ، ورشدهم ، وعدلهم ، ومعاونتهم على الحقِّ ، وطاعتهم فيه ، وأمرهم به ، وتنبيههم وتذكيرهم فيه ، وحبّ اجتماع الأمَّة عليهم ، وكراهة افتراق الأمَّة عنهم ، ومجانبة الوثوب عليهم ، بل البغض لمن رأى الخروج عليهم ، وحبُّ إعزازهم في طاعة الله عزَّ وجلَّ ، والدُّعاء لهم بالتَّوفيق وحثّ الأغيار على ذلك .

* قال الخطَّابيُّ ـ رحمه الله ـ : ومن النَّصيحة لهم : الصَّلاةُ خلفهم ، والجهادُ معهم ، وأداءُ الصَّدقات إليهم ، وتركُ الخروج بالسَّيفِ عليهم إذا ظهر منهم حيفٌ أو سوءُ عشرةٍ ، وألا يُغْزَوا بالثَّناء الكاذب عليهم ، وأن يُدعى لهم بالصَّلاح .

* وقد وردت نصيحةُ ولاةِ الأمرِ في الأحاديث النَّبويّة ، من ذلك ما رواهُ أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله عزَّ وجلَّ رضي لكم ثلاثاً وسخطَ لكم ثلاثاً : رضي لكم أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقوا ، وأن تُناصحوا مَنْ ولاَّه الله عزَّ وجلَّ أمركم »[1] .

* قال أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الخيريّ : فانْصَحْ للسُّلطان ، وأكثر له من الدُّعاء بالصَّلاح والرَّشاد في القولِ والعملِ ، فإنَّهم إذا صلحوا صلح العباد والبلاد بصلاحهم ،

---

(١) رواه البغوي كما في كنز العمال (١٠٢٤) .

وإيـاك أن تـدعـوَ عليهـم فيـزدادوا شَـرّاً ويـزداد البـلاءُ بالمسلمين[1] .

* وقالوا : ينبغي لمن صحبَ السُّلطان ألا يكتمَ عنه نصيحتَه وإن استقلَّها ، وليكن كلامه له كلام رفق ، لا كلامُ خُرْق ، حتى يُخبره بعيبه من غير أن يواجهه بذلك ، ولكن يضربُ له الأمثال ، ويعرِّفه بعيب غيره ، ليعرفَ به عيب نفسه[2] .

* وقال أحدُ الحكماء : إنَّ نصيحة السُّلطان واجبةٌ في الصغير الحقير ، والكبير الخطير ، لصلاح العامَّة والخاصَّة .

* وقالوا : مَنْ كتمَ السُّلطان نُصْحه ، والأطبّاء مرضه ، والإخوان بثَّه ، فقد أخلَّ بنفسه .

* وأمّا نصيحةُ عامَّة المسلمين : فأن يحبَّ لهم ما يحبُّ لنفسـه ، ويكـره لهـم مـا يكـره لنفسـه ، ويـرشـدهـم إلـى

---

(١) انظر : نهاية الأرب للنويري (٦/ ٩) .
(٢) المصدر السابق (٦/ ١٠) .

مصالحهم ، ويعلِّمهم أمورَ دينهم ودنياهم ، ويشفق عليهم ، ويستر عوراتهم ، ويسد خلاتهم ، ويرحم صغيرهم ، ويوقِّر كبيرهم ، ويكفّ الأذى عنهم في القولِ والفعلِ ، ويشاركهم في أمورهم ، فيفرح لفرحهم ، ويحزنُ لحزنهم ، ويحبُّ صلاحهم ، ويدفعُ المضارَّ عنهم ، ويجلبُ المنافعَ لهم ، ويأمرُهم بالمعروفِ ، وينهاهُم عن المنكرِ ، برفقٍ ونصحٍ وإخلاص ، ويتركُ غشَّهم وحسدهم ، ويدافعُ عن أموالهم وأعراضهم ، ويحثُّهم على مكارم الأخلاق ومعالي المكارم .

* ومن أنواع نُصحهم بدفع الأذى والمكروه عنهم : إيثارُ فقيرهم ، وتعليمُ جاهلهم ، وردُّ مَنْ زاغَ منهم عن الحقِّ في قولٍ أو عملٍ بالتلطُّفِ والرِّفق والمحبَّة ، فإنَّ في ذلك جُلَّ النَّفع ، وذِرْوَةَ النَّجاح في تحقيق النَّصيحة والنُّصح .

* إنَّ الذين يمشون بين عباد الله بالنَّصائح ، ويخافون عليهم من أعمالهم يوم تبدو الفضائح ، وتظهرُ الأمورُ الصَّحائح ، أولئك من أولياء الله ، ومن أحبائه وأهل صفوته ، وأولئك هم الفائزون بمرضاة الله ولقائه .

* قال أبو بكر المزني ـ رحمه الله ـ : ما فاقَ أبو بكر الصدِّيق رضوان الله عليه أصحاب رسول الله ﷺ بصومٍ ولا صلاةٍ ، ولكن بشيءٍ كان في قلبه .

* قال ابنُ علية معلّقاً على قول المزني : الذي كان في قلب أبي بكر رضي الله عنه الحبُّ لله عزَّ وجلَّ ، والنَّصيحةُ في خلقه .

* وقال الفُضَيل بنُ عِياض ـ رحمه الله ـ : ما أدركَ عندنا مَنْ أدركَ بكثرة الصَّلاة والصِّيام ، وإنّما أدركَ عندنا بسخاء الأنفس ، وسلامة الصَّدر ، والنُّصح للأمَّة .

* وسُئِلَ عبد الله بن المبارك ـ رحمه الله ـ : أيُّ الأعمالِ أفضل ؟

قال : النُّصح لله .

* وقال معمر ـ رحمه الله ـ : كان يُقال : أنصحُ النَّاس لكَ مَنْ خافَ اللهَ عزَّ وجلَّ فيك .

* وكان السَّلفُ الصَّالحُ ـ رحمهم الله ـ إذا أرادوا تطبيقَ النَّصيحة ، وأحبُّوا أن ينصحوا أحداً مهما كان شأنُه ، نصحوه

سِرّاً ولم يُشعِروا بذلك أحداً علانيةً ، حتى قال بعضهُم حكمةً من أبلغِ الحِكَمِ ومفادُها : مَنْ وعظَ أخاهُ فيما بينه وبينه ، فهي نصيحةٌ ، ومَنْ وعظَه على رؤوس النَّاس فإنَّما وبَّخَه .

* وقال الفُضَيل بنُ عِياض في صفة المؤمن النَّاصح الشَّفيق : المؤمنُ يسترُ وينصحُ ، والفاجرُ يهتكُ ويُعيِّر . نعم المؤمن ينصحُ ، والفاجرُ يفضحُ ، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضاً .

* وعلى الإنسان العاقل أن يهتدي بما جاءت به الأحاديثُ في باب النَّصيحة ، إذ السَّعادةُ معها ، والرِّفقُ تحت ظلالها ، وأن يتأسّى المؤمنُ بها في حياة الحبيب المصطفى ﷺ ، ويعمل بضوابطها وآدابها ، وعند ذلك يكونُ من النَّاصحين ، ومن الرَّاشدين ، ومن الفائزين أيضاً بمرضاة الله ورسوله .

* * *

الفصلُ الثّالث

من ألوانِ النّصيحةِ في الحياة الاجتماعيّة

* قد عرفنا في الفصول السّابقات معاني النّصيحة وأنواعها في أضواء القرآن الكريم ، والسُّنّة النّبويّة المطهّرة ، وأحبَبْنا في هذا الفصل أن نُشيرَ إلى بعض ألوان النّصيحةِ في الحياة ، وفي أحوال النّاس في مجتمعاتهم ، إذ النّصيحةُ كلمةٌ عامّةٌ شاملةٌ ، وهي تختلفُ في تطبيقاتها بحسبِ الأمر الذي يُطلب فيه النُّصح .

* فنصيحةُ المعلِّم ـ وهي مهمّة جداً ـ تكونُ ببذلِ ما بوسعه من تعليم مَنْ يُعلِّمه ، وتكونُ كذلك باختيار أفضل وجوه التّعليم المثمر ، وأحسنِ ما يفيدُه من مسائل العلم وصنوفه ، وأن يُبيِّن أسهلَ الطُّرق في توصيل المعلومات إلى أذهان المتعلِّمين ؛ وكذلك نصيحة المربّي أيضاً تكون بتربية

النَّشء تربيةً حسنةً فاضلةً ، فالمعلِّمُ مستأمَنٌ على مَنْ يُعلِّمُه ، ونصيحتُه تكون بأن يعطيَ من العِلْمِ أصوبَه وأنفعَه ممّا يعلم ، وبأن يبذلَ غاية جُهدِهِ في التَّعليم والتَّفهيم ، فإن فعلَ خلاف ذلك كان مُقصِّراً ، أو غاشّاً غير ناصح .

* ونصيحةُ الطَّبيب ـ وهي مهمَّة أيضاً ـ تكونُ في تمكُّنهِ من تخصُّصِهِ ، كما تكون ببذلِ كامل جهده لمعرفةِ العلَّةِ والعرض ، ومن ثمَّ وصف الدَّواء الذي يراهُ أكثر نفعاً وملاءمةً لحال المريض ، وكذلك ينصحُ المريض في العلاجِ ولا يسرف في أخذ أموال النَّاس ، ويبتعدُ عن الجشع ، وعمّا يسيء إلى هذه المهنةِ الأدبيَّةِ الأخلاقيةِ العظيمةِ .

* ونصيحةُ التَّاجر ـ مهما كانت تجارتُه ـ تكون بعَرضِ بضاعته بشكلٍ واضحٍ ظاهرٍ ، ويُبيِّنَ ما فيها من جَوْدَةٍ أو رداءةٍ ، أو نفعٍ وغيره ، ورواجٍ وكساد ، وكلّ ما ينفعُ راغب الشِّراء بيانه دون مواربةٍ أو حَلفٍ أو كذبٍ ، بل يعرضُ البضاعةَ بصدقٍ كامل ، ليكونَ المشتري على بيِّنةٍ ، ويكون منصوحاً في البضاعةِ لينصحَ غيرَهُ أيضاً ، وتكون النَّصيحةُ بين

التّاجر والنّاس هي صلة الوصل ، وروح الحياة ، وحياة الرُّوح ؛ ومَنْ لا نصيحةَ عنده في بيعه أو شرائه ، فلا دينَ له في تعامله كذلك .

* ونأتي إلى نصيحة الصَّانع ، وهي نحتاجُها في حياتنا اليوميَّة ، فالحياةُ الآن يقومُ معظمُها على المهارة في صُنْعِ الأشياء ، ولذا فعلى الصَّانع أن يقدِّمَ نُصحَه فيما يستطيع من صنعةٍ ، فلا غِشٌّ ، ولا خدعٌ ، ولا خيانةٌ ؛ بل إتقانٌ ، فالله يحبُّ إذا عملَ الإنسانُ العملَ أن يُتقنه .

* ونصيحةُ المستشار مهمَّة في هذه الحياة ، فهو مؤتمَنٌ ، وعليه أن يؤدِّيَ هذه الأمانة بنُصحٍ كامل ، وأن يقدِّمَ أحسنَ ما يرى من مشورة يكون بها نفعٌ ومصلحةٌ لمن استشاره ، ويمكن أن نضربَ مثلاً على ذلك استشارة سُليمان بن عبد الملك لرجاء بن حَيْوة في تولية الخلافة لعمر بن عبد العزيز ، حيث قدّم رجاءُ بنُ حَيْوة أفضل ما رأى عن تجربةٍ وخبرةٍ ، ونصحَ الأمَّة الإسلاميَّة غايةَ النُّصح ، فكان عمر بنُ عبد العزيز نجماً زاهراً في سماءِ الإسلام .

* وهناك نصيحةُ العُلماء للنّاس ولولاةِ الأَمْر ، إذ تكون ببيان أحكام دين الله ، ممثّلةً بكتابه العزيز ، واتّباع الهدي النّبويّ ، وكذلك الأمر بالمعروف ، والنّهي عن المنكر ، يُضافُ إلى ذلك الدّعوة إلى دين الله بالحكمةِ والموعظةِ الحَسَنة ، والمجادلةِ بالتي هي أحسن .

* وكذلك نجدُ النّصيحةَ في كلِّ نواحي الحياةِ ، وهكذا إلى كلِّ أمرٍ يمكنُ أن يدخلَ فيه نُصحٌ أو غشٌّ ، أو إساءةٌ وإفسادٌ ، واجتهادٌ أو تهاونٌ ونحو ذلك .

* إذاً فالنّصيحةُ هي صِدْقِ المعاملة ، وإخلاصُها ، وصفاؤها من الشّوائب ، وبراءتُها من كلِّ غشٍّ ، فالصّدقُ والإخلاصُ والمعاملةُ القويمةُ أمورٌ تشملُ كلَّ حركةٍ إراديّةٍ للإنسان في السُّلوك الظّاهر أو الباطن .

* وجهاتُ التّعاملِ تبدأُ بالتّعامل تجاهَ الله عزَّ وجلَّ ، وما أنزلَ من وحي ، وما بعثَ من رسول .

* والتّعامل مع الله عزَّ وجلَّ بالنّصيحةِ أي بالصّدقِ والإخلاصِ يكونُ بالإيمانِ به حقّاً ، وبطاعته وعبادته ،

وكذلك بما أنزلَ من وحي ، وأيضاً مع الرَّسول ﷺ وعامّة المسلمين بكلّ ألوان حياتهم .

* فلنحطِ التَّعاملَ مع أفراد الأسرة بالنَّصيحةِ الملائمةِ لتحسين وجوهِ العلائق مع أفرادها ، فنصيحةُ الخاطب ـ مثلاً ـ تكونُ ببيان كلِّ ما يهمُّ الخاطبَ معرفتُه من صفاتٍ خفيَّةٍ لها ، فمَنْ كتمَ عيوبَه منهما ، ولم يُبيِّنها كان غير ناصحٍ ، ومَنْ كان كذلك فلا دين له في تعامله ذلك .

* وكذلك التَّعامل مع الجيران وأهل الحيّ والقرية له مقادير من النَّصيحة تتلاءمُ مع وجوه العلائق .

* وهكذا إلى سائرِ وجوه التَّعامل ، نجد أنَّ الدِّين الحقَّ ملازمٌ للنَّصيحة ، فحيثُما وُجِدَ الدِّينُ وُجِدَت النَّصيحةُ ، وحيثُما ارتفعتِ النَّصيحةُ ارتفعَ الدِّينُ ، فلا عجبَ أن يقولَ الحبيبُ المصطفى ﷺ : « الدِّينُ النَّصيحةُ »[1] .

* * *

---

(١) سبق تخريجه .

البابُ السَّادس

من قصصِ النُّصح في عَصْرِ الصَّحابةِ والسَّلفِ الصَّالحِ

الفصلُ الأوَّل : نصيحةُ الوليدِ بنِ الوليد لأخيه خالد .

الفصلُ الثَّاني : النَّصيحةُ بين العُلماءِ والحُكَّام .

الفصل الأوّل

نصيحةُ الوليدِ بنِ الوليدِ لأخيه خالد

* إذا قُلنا سيف الله ، أو قُلنا سيف النَّبي ﷺ ، فإنَّما نعني بذلك خالد بن الوليد رضي الله عنه ، ومَنْ مِنَّا لا يعرفُ خالداً وفروسيَّته وبطولاته وفراسته الحربيّة في الجاهليّة والإسلام ؟!

* إنَّ من بين كلِّ عشرة أشخاصٍ من المسلمين تسعةً يعرفون معظم قصَّة خالدِ بنِ الوليد ، ويعرفون هذا البطل الصِّنديدَ الذي قال فيه الحبيبُ الأعظم ﷺ : « إنَّ خالداً سيفٌ سلَّهُ اللهُ على المشركين »[1] .

* ومَنْ مِنَّا لا يحفظُ كلمةَ خالدٍ المشهورة : لقد شهدتُ مئةَ زحفٍ أو نحوها ، وما في بدني موضعُ شِبْرٍ إلا وفيه

---

(١) رواه ابن عساكر عن عمر ، كما في كنز العمال (٣٣٢٧٨) .

ضربةٌ ، أو طعنةٌ ، أو رميةٌ ، وها أنا أموتُ على فراشي ، فلا نامت أعينُ الجُبناء ، وما لي من عملي أرجى من لا إله إلا الله ، وأنا متترِّسٌ بها[1] .

* ومَنْ مِنَّا لا يعرفُ رأي أبي بكرٍ فيه ، ومقولته المشهورة حيثُ قال : عجزتِ النِّساءُ أن يلِدْنَ مثل خالد[1] .

* وخالدٌ سيفُ الله هذا أسْلَمَ بسبب نصيحةِ أخيه الوليد بن الوليد بن المغيرةِ أحد أبطالِ الصَّحابةِ ، وأحد فرسانِ المدرسة المحمَّديّةِ .

* فكيف أثَّرَتْ هذه النَّصيحةُ في خالد ، وكيف انتظمَ في سِلْكِ دُرَرِ رجال الصَّحابة ، ودُرَرِ فُرسانِ مدرسة النُّبوَّة ، وأضحى أحدَ أشهرِ فرسان تلكم المدرسة العظيمة الميمونة ؟!

ذلكم ما ستعرفونه وتستنشقون رذاذَ عبيره في الفقرات التَّوالي .

* عشرون عاماً مضَتْ من حياة خالد بن الوليد ، ولم يزل في قائمة المشركين يعملُ في صفوفهم ، لا يُبالي بما يصنعُ ،

---

(١) انظر : رجال من عصر النبوة لأحمد خليل جمعة .

ولا ينتبهُ إلى عِطْرِ الإسلام الفوَّاح الذي حملَتْ أردانُه أعطرَ الشَّذا إلى الدُّنيا كلِّها ، وعلى الرَّغم من أنَّ أنوارَ الهداية الربانيّة قد عمَّت الدُّنيا ، إلا أنَّ خالداً قد تجاهل كلَّ تلكم الهمسات وهاتيكم الأنداء التي تُصافح الأسماعَ وتروي القلوب ، وهو مفتونٌ بشبابِهِ وفروسيَّتِه وانتصاراته .

* ولمّا أذِنَ اللهُ عزَّ وجلَّ بهداية هذا الفارس المقدام ، كانتِ النَّصيحةُ هي الهمسة التي صافحت سمعه ، وهمست في حنايا أضْلُعه : أن كفاك ما أنت فيه ، فقد فاتتك مواطنُ صالحةٌ .

* اللهُ أكبرُ ، نصيحةٌ لطيفةٌ خفيفةٌ تُبدِّلُ حياةَ فارس الشُّجعان تبدُّلاً كاملاً ، وتُخرجُه من ظلماتِ الغُرور إلى أنوارِ اليقين ؟!

* كان ذلك كلّه في شهر صفر سنة ثمان من الهجرة ، عندما دخل الحبيبُ المصطفى ﷺ مكة مع أصحابه ، وأدّوا العمرة ، تغيَّب يومها خالد فيمن تغيَّب من المشركين كيلا يرى المسلمين وهم بمكة في عزٍّ وسؤددٍ وقوَّةٍ ونصرٍ من الله ،

وعندها سأل الحبيبُ المصطفى ﷺ أخاه الوليد بن الوليد عنه ، وتعجَّب كيف يغيبُ الإسلامُ عن مثل خالد ، وهو الفارسُ العاقلُ المحنَّكُ وقال لأخيه : « أين خالد ؟ » .

فقال الوليد وقطراتُ الغيث الإلهي والرحمةِ الأخوية تتفجَّر من كلامه : يأتي به اللهُ .

فقال الحبيبُ المصطفى ﷺ : « ما مِثْلُ خالد جَهِلَ الإسلام ، ولو كان جعل نكايته وجدَّه مع المسلمين على المشركين ، لكان خيراً له ، ولقدَّمناه على غيره » .

* اللهُ أكبرُ ما أعظم هذه الشَّهادة!! إذاً فليسرع الوليدُ بن الوليد إلى إنقاذ أخيه خالد من وهدة الشِّرك ، وظلمات الجاهلية ، وأدران الوثنيّة ، وراحَ الوليدُ فأخذ يكتبُ لأخيه خالد هذه الكلمات المفعمات بالنُّصح والنَّصيحة ، والدّعوة إلى مائدة الحقّ لرسول الحقّ وخير الخلق فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ أمّا بعد : فإنّي لم أرَ أعجبَ من ذهاب رأيك عن الإسلام ، وعقلك عقلك ، ومثل الإسلام ما جهله أحد! وقد سألني رسول الله ﷺ عنك وقال : « أين

خـالـد » ؟ فقلـتُ : يـأتـي بـه الله ، ثـم ذكـر لـه حـديـث رسول الله ﷺ فيه ، ثمّ قال : فاستدرِكْ يا أخي ما فاتك ، فقد فاتَتْكَ مواطنُ صالحة .

* ووصلت هذه النَّصيحةُ الميمونةُ خالداً ، وأرادَ الله به خيراً ، وعصفت في قلبه رياح مسحَتْ ما تبقّى من ركام الجاهليّة ، وأدركته نفحةٌ من نفحاتِ التجلّي الإلهيّ ، خاصّة وأنّ الحبيب الأعظم ﷺ خَيْرُ النّاصحين ومعلّمُ النّاصحين ، وإمامُ النّاصحين قد سأل عنه ، ورفعَ من قَدْرِه ؟!

* وأخـذت الأفكـارُ تجـولُ بـرأسـه ذاتَ اليميـنِ وذاتَ الشّمالِ ، وراحَتْ همساتُ الحقّ تداعبُ وجدانَه ، وأنسامُ الإيمانِ تحومُ فوقَه ، والتّساؤلاتُ الكثيرةُ تتراقصُ أمامَه ، وكلماتٌ جذلى ترتسمُ أمامه تقول : إنّ الطريق الحقَّ واضحٌ فلِمَ العناد ؟!

* كانت هذه الأشياءُ تشغلُ قلبَ وعقلَ خالد طيلة تلك الليلة التي قرأ فيها كتاب أخيه ، وعرف مقصده ونصيحته الخالصة الوضيئة ، واستسلم للنوم ، فإذا به يرى بأنه في بلاد

ضيِّقة جديبة لا حياة فيها ، ثم خرج إلى بلدٍ أخضر واسعٍ لطيفٍ ، فلما استيقظ قال : إنَّ هذه لرؤيا .

* واستبشر خالدٌ برؤياه ، وعزم على الإسلام ، فخرج وعرض فكرته على صفوان بن أميَّة وعكرمة بن أبي جهل فأبيا ذلك . وأحبَّ خالدٌ أن يكون بدوره ناصحاً ، فعرض فكرته على عثمان بن طلحة العبدري ، فأسرع الإجابة ، ووجدَ عنده الرّغبة نفسها ، وخرجا نحو المدينة المنوّرة ، وفي الطريق لقيا عبقريّاً نجيباً حازماً شاعراً ناثراً بصيراً بالحرب ، شريفاً أميراً ، ذكيّاً عاقلاً ، ذا كمالٍ وتدبيرٍ ، وكان معدوداً من دُهاة العرب وشجعانهم وذوي آرائهم ، هذا الرَّجلُ هو عمرو بن العاص رضي الله عنه الذي خرج للغرض نفسه ، ولإعلانِ إسلامه أمام الحبيب الأعظم حبيبنا محمد رسول الله ﷺ .

* وسار الرَّكبُ الميمونُ حتى دخل المدينةَ المنوَّرة ، وأنوارُ الهداية تُغلِّفُ قلوبَهم ، وفي المدينة لبسوا صالح ثيابهم ، وكان البشيرُ قد زفَّ البُشرى إلى الحبيب المصطفى ﷺ ، فسُرَّ بمقدمهم وهدايتهم ، ولقي هذا الرَّكبَ

أخوهُ الوليد ، فقال لخالدٍ : أسرع فإنَّ رسول الله ﷺ قد أُخبرَ بك فسُرَّ بقدومك ، وهو ينتظركم .

* وأسرعَ خالدٌ المشي إلى لقاء الحبيب النَّاصح رسول ربِّ العالمين ، ولمّا رآه ألفاهُ يبتسمُ ، ومازال كذلك حتى وقف أمامه ، وسلَّم عليه بالنبوّة ، فردَّ السَّلامَ بوجهٍ طَلْقٍ بسَّامٍ ثم قال خالد له : أشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأنَّكَ رسولُ الله .

* فقال الحبيبُ الأعظمُ ﷺ : « الحمدُ لله الذي هداك ، قد كنتُ أرى لك عقلاً ، ورجوتُ ألا يسلمك إلا إلى خير » .

* وطلب خالد من النَّبي ﷺ أن يدعو له بالمغفرة ، فأخبره أنَّ « الإسلام يجبُّ ما كان قبله » ، ثمّ دعا له فقال : « اللهمَّ اغفر لخالد بن الوليد كلَّ ما أوْضَعَ من صدٍّ عن سبيلك » .

* وهكذا أضحى خالد ومَنْ معه من فرسان الغزوات ، وأبطال الإسلام ، وممن نُمتِّعُ الأسماع بسيرتهم ، وممّن تغني اللبيب ، وتُبهج المُجالس ، وتعطِّر المجالس ، وكلُّ هذا بفضل الله ، وهاتيكم الهمسة النَّصوح من أخيه الوليد ، فكانت سبباً في هدايته رضي الله عنه وأرضاه .

الفصل الثّاني

النّصيحةُ بين العُلماءِ والحُكّام

* كان العُلماءُ والصّالحون يحرصون على إبداء النّصيحة لولاة الأمر ، ويبذلون كلّ جَهْدٍ لتحقيق هذا الهدف النّبيل ، وهذا المطلب الشّرعي الكريم ، لأنّ « الدّين النّصيحة » ، ولأنّ الله عزّ وجلّ قال : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] ، وهل الدّعوة إلى الخير والأمر بالمعروف إلا نصيحة تُهْدى إلى من يعمل بها ؟

* لقد كانت النّصيحة لولاة الأمر في مقدّمة المنتصحين لأنّ في نصيحتهم وانتصاحهم الخير ؛ وكلّ الخير لهم ، ولمن يتولّون أمرهم ، ولهذا رأى جلّة علماء السّلف الصّالح أنّ إبداء النّصيحة للحكّام ، أجدى من الخروج عن سلطانهم حين لم يروا تغيُّراً لأحكام الشّرع .

* ومن روائع النَّصائح ، ما كتبه الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ إلى هارون الرَّشيد ينصحه ، فكان ممّا قال : إنِّي كتبتُ إليك بكتابٍ لم آلك فيه رشداً ، ولم أدَّخر فيه نصحاً . . . . . تدبَّرْهُ بعقلك ، وردِّد فيه بصرَكَ ، وأرْعِهِ سمعك ، . . . . فإن فيه الفَضْلَ في الدُّنيا ، وحسن ثواب الله في الآخرة . . .

* ثم قال له : لا تأمن على شيءٍ من أمرك من لا يخاف الله ، فإنَّه بلغني عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أنَّه قال : شاور في أمرك الذين يخافون الله .

* وهي رسالةٌ طويلةٌ جريئةٌ ، تَجِلُ منها القلوبُ ، وهي مفعمةٌ أيضاً بالنَّصيحة الصَّادقة التي تجعلُ العيون تذرفُ من صدقها وحسن اتّساقها وشواهدها ، إذ تقرِّبُ المسلم من ربِّه لينال رضاه إن انتصح بها ، وجعلها موضع التَّطبيق ؛ وقد تقبَّلها الرَّشيد ـ رحمه الله ـ بقبول حسن ، وأنزلها من نفسه مكاناً رحيباً ، وشكر الإمامَ مالكاً عليها ، وحمد الله على وجود أمثاله ممّن يحسنون النُّصح والنَّصيحة .

* ولم يكن الإمامُ مالك وحده يقدِّم النَّصيحة للرَّشيد ، وإنما كان الإمامُ أبو يُوسف القاضي يقدِّم النَّصيحة له ، وخيرُ دليلٍ على ذلك النَّصيحة المهمّة التي وضعها أبو يوسف في مقدّمة كتابه الشّهير « الخراج » الذي وضعه بناء على طلب الرَّشيد ؛ ومن نفحات مقدّمة كتاب الخراج هذه النَّصيحة الودّية اللطيفة للرَّشيد : يا أمير المؤمنين ، إذا نظرت إلى أمرين ، أحدهما للآخرة ؛ والآخر للدنيا ، فاختَرْ أمر الآخرة على أمر الدنيا ، فإنَّ الآخرة تبقى ، والدُّنيا تفنى. . . . .

إنِّي أوصيكَ يا أمير المؤمنين بحفظ ما استحفظكَ الله ، ورعاية ما استرعاك الله ، وألا تنظر في ذلك إلا إليه وله[1] .

* هذا وقصصُ النَّصيحة والنُّصح للحكّام كثيرة ، تملأ أسماع التاريخ ، ومنها نصيحة جعفر الصّادق للمنصور ، وكذلك نصيحة الأوزاعي للمنصور أيضاً ، وقد طلب المنصور النَّصيحة من الأوزاعي لعلمه بمكانته ، وحسن

---

(١) من مقدمة كتاب الخراج للإمام أبي يوسف القاضي .

نُصحه ، وذلك في قصَّة طويلةٍ رواها الأوزاعي نفسه ، وجاء في آخرها : فهذه نصيحتي إليك والسَّلام عليك .

فقال له المنصور : شكرتُ نصيحتكَ وقبلتُها .

وأمر له بمالٍ فلم يقبله الأوزاعي وقال : أنا في غنًى عنه ، وما كنتُ لأبيع نصيحتي بعَرَضٍ من الدُّنيا ، وعرفَ المنصور ذلك ، فلم تكن له موجدة عليه ، وعلم تمام العلم أنَّ نصيحته خالصةٌ لله عزَّ وجلَّ لا يبتغي بها إلا الله[1] .

* وهكذا كان الحكّام وولاةُ الأمر يستمعون إلى نصائح العلماء والفقهاء والصُّلحاء ، وكان بعضهم يستمعُ إلى النَّصائح من امرأةٍ كنصيحة خولة بنت حكيم لعمر بن الخطّاب ، وهي المجادلة التي أنزل الله فيها قرآناً يُتلى ، فقبل عمر نصيحتها وشكرها .

* وكذلك نجدُ عمر بن عبد العزيز يستمعُ إلى نصيحة

---

(١) انظر قصة النصيحة كاملة في : إحياء علوم الدين للغزالي (٧/ ٧٧) .

غلام لم يبلغ الحلم عندما قدمت عليه الوفودُ ، ويومها تمثَّل قائلاً في هذين البيتَيْن الشَّهيرَيْن :

تعلَّمْ فليسَ المرءُ يولدُ عالماً ... وليس أخو علمٍ كمَنْ هو جاهلُ
فإنَّ كبيرَ القومِ لا عِلْمَ عنده ... صغيرٌ إذا التفَّتْ عليه المحافلُ

* بمثل هذه النَّصائح العطرات التي خرجت من قلوبٍ بالإيمان عامرات ، وبشرع الله متفقِّهات ، ونطقتها ألسنٌ جريئات ، وسمعتها آذانٌ واعيات ، كان للنَّصيحة وقعها ، وكان العلماء نِعْمَ العلماء ، والحُكَّامُ نِعْمَ الحُكّام .

* * *

البابُ السَّابع

النَّصيحةُ بين أنفاسِ الشُّعراء ويراعِ البُلَغاءِ

الفصل الأول : النَّصيحةُ عنوانُ الأدبِ .

الفصل الثَّاني : النَّصيحةُ عندَ حكماءِ الشُّعراء .

الفصل الثَّالث : نصيحةُ أبي تمَّام للبحتري .

الفصل الرابع : نصيحةُ علي الجارم لابنته .

الفصل الخامس : النَّصيحةُ بين الإيجاب والسَّلب .

الفصلُ الأوّل

النَّصيحةُ عنوانُ الأدب

* عقدنا هذا الباب لما له من أهميّةٍ في أدبنا العربي في الأعصر الخوالي ، وفي عصرنا الحالي ، ولما للنَّصيحة في الآداب العربية من مكانةٍ عظمى ، فهي لبُّ لُبابِ مكارم الأخلاق ، وصفةُ صفوة فضائل المكارم .

* ولمّا كنّا ـ نحن العرب ـ من أحفاد أبناء يعرب ، ومن محبي هذه اللغة التي اختارها الله عزَّ وجلَّ لتكون لغة القرآن العظيم ، ولغة العبادة ، ولغة دخول الجنَّة ومفتاحها ، فإنّنا نعتزُّ بأن نقيمَ من مفاهيمها ومدلولاتها مركباً نطاولُ به الجوزاء ، ونُسْمع همساتها لكلِّ من يودُّ سماعَ الحقيقة ، ومعرفة النَّصيحة .

* ولذا فقد ألفينا أنَّ للنَّصيحة كثيراً من الأثواب والأشكال التي تحلو في عين القارىء ، وتلذُّ في أذن السَّامع ، ومن هذا المنطلق الوضيء أحببنا أن نتعرَّضَ للنَّصيحة في أنفاسِ الشُّعراء ، وأنسام الأدباء ، ويراع البلغاء ، كما أحببنا أن نكون في كلِّ قلبٍ يُوِدُّ النُّصحاء ، وينصحُ أهل المودّات ، بل نكون في كلّ بيتٍ ، وفي كلِّ نفسٍ ، لعلَّ ذلك ينفعُنا عند المليك المقتدر ، إذا ما خصَّنا أحدُ النَّاصحين النُّصحاء بدعوةٍ منه بظهر الغيب .

* ونعودُ فنقول : إنَّ للكلمة الأدبيَّة ، والهمسة الشِّعرية أثرها الطيِّب في القلوب ، فكيف إذا كانت النَّصيحةُ هي التي تُداعِبُ وجداننا ، وتخالطُ أضالع قلوبنا ، لتسمو بنا إلى عالم النَّقاء والصَّفاء .

* * *

الفصل الثّاني

النّصيحةُ عند حُكماء الشُّعراء

* لا شكَّ بأنَّ الشِّعر يحمل الحكمة ، وفي أردان الحكمة تغفو النَّصائح ، ومن ثم تصحو على ألسنة الشُّعراء ، لتظلّ خفّاقةً في دنيا المعرفة .

* ولقد رُصِّعَ جبين الكتب بنفائس النَّصائح التي بثَّها الشُّعراء من خلال تجاربهم ، فكانت حصائدُ ألسنتهم ، وغرائسُ أفكارهم قلائدَ تُهدى إلى النّاس وإلى ذوي الأذواق السَّليمة .

* ومن روائع النَّصائح هذه النَّصيحة الشَّهيرة التي تجعل الحياة سليمةً هادئةً :

إذا شئت أن تحيا سليماً من الأذى وحظُّكَ موفورٌ وعِرضُكَ صَيِّنُ

لسانكَ لا تذكر به عورةَ امرىءٍ فكلُّكَ عوراتٌ وللنّاسِ أعينُ
وعينكَ إن أبدَتْ إليك معايباً فصُنْها وقُلْ يا عينُ للنَّاسِ أعينُ
وعاشرْ بمعروفٍ وسامح من اعتدى وفارق ولكن بالتي هي أحسنُ

* وفي حفظ اللسان ، يبثُّ أحدُ الشُّعراء البُلغاء نُصحه فيقول :

احفظْ لسانكَ أيُّها الإنسانُ لا يلدغنَّكَ إنَّه ثُعبانُ
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهابُ لقاءه الشُّجعانُ

* وفي نصائح الشُّعراء لأبنائهم زاد وفير في مادّتنا هذه ، ومن أجمل ما تُمتَّعُ به الأسماعُ قولُ أحدهم ينصح ابنه ويدعوهُ إلى مكارم الأخلاق ومعالي الأمور فيقول :

أبنيَّ إنَّ أباكَ كاربُ يومه فإذا دُعيتَ إلى المكارمِ فاعْجَلِ
والضَّيفَ أكْرِمْهُ فإنَّ مبيتَه حقٌّ ولا تَكُ لعنةً للنُّزَّلِ
واعلم بأنَّ الضَّيفَ مخبرُ أهلهِ بمبيتِ ليلتهِ وإن لم يُسألِ
واتركْ محلَّ السُّوءِ لا تحللْ به وإذ نبا بك منزلٌ فتحوَّلِ

وإذا تنـازعَ فـي فـؤادكَ مـرَّةً أمـران فـاعمـدْ لـلأعـزِّ الأفضـلِ
واستفْتِ دينكَ في أمورِكَ كلِّها وإذا عزمتَ على التُّقى فتوكَّلِ

* ونقرأُ قول أحدهم في النَّصيحة وحدودِها وآدابها ، وسُبُلها وفوائدها فيقول :

قلْ للنَّصيحِ الذي أهدى نصيحته سِـرّاً إلينـا وسـامَتْـهُ التّكـاليـفُ
النُّصـحُ ليـس لـه حـدٌّ فتعـرفـهُ والنُّصحُ مُستوحَشٌ منه ومألوفُ
حتى إذا صـرمـت عنّـا عـواقبـهُ كـانـت لنـا عظـة منـه وتعنيـفُ
لو كان للنُّصحِ حدٌّ يُستبانُ به مـا نـالنـا حَسْـرةٌ منـه وتلهيـفُ
لكـن لـه سُبُـلٌ شتّـى مخـالفـةٌ بعضٌ لبعضٍ فمجهولٌ ومعروفُ
والنَّـاسُ غـاوٍ وذو رشـدٍ ومختلـطٌ والنُّصحُ ممضى ومردودٌ وموقوفُ[1]

---

(١) إنَّ هذه الأبيات التي قرأناها في طلب النصيحة ، بل إمحاضُ النصيحة وتخليصها وإخلاصها من النصيح المؤمن على النصح ، ندركُ أن قائلها يقول معرضاً :

=

* ومن النَّصائح النَّاصعة في جبين الدَّهر ، ما جاء في نصائح « ابن سعيد المغربي » لابنه الذي قد عزمَ على السَّفر ، فناداهُ وأتحفهُ بنصائح رائعةٍ ، جاءت في قصيدة طويلة ، وكلمات رائعة تصلح زاداً لكلِّ ابن ، وقد بدأ ابن سعيد قصيدته في النَّصيحة بقوله :

أودعكَ الرَّحمنُ في غربتكَ مرتقباً رحماهُ في أوبتك

ثم يزفُّ خلاصة نصحه وتجاربه في حياته لابنه فيقول :

= أيُّها النَّاصح الذي أهدانا نصيحته المزجاة وقد أسرَّ إلينا بها ، وبلغ ـ بزعمه ـ الشقّة والغاية ، لا شكَّ بأنَّك جهولٌ ، لا علم لك بأصول النُّصح ، وبضاعتك مُزجاة ، وكذلك النَّصيح ، فمنه المعهود الودود ، ومنه الغثُّ المردود ، ولو كان لنصحك وزنٌ لأخذنا به ، وما شربنا مرَّ عاقبته ، ولما عرفنا الحسرةَ واللهفة .

وإنَّ النُّصحَ طرائقُ ، منه الهدى ، ومنه البوائق ، وكلٌّ يدركُ مقدوره ، وهكذا النَّاسُ شتى ، منهم ذوو الرُّشد ، ومنهم الغوي ، ومنهم الجاهل ، والنُّصح ماضٍ بين قبول وردّ ، ومضي ووقف .

خلاصة العمر التي حنّكتْ في ساعةٍ زفّت إلى فطنتك
فللتجـــارب أمـــورٌ إذا طالعتها تشحذُ من غفلتك
فلا تنمْ عن وعيها ساعة فإنها عونٌ إلى يقظتك

* ومنها :

وحيثما خيَّمتَ فاقصدْ إلى صحبة من ترجوهُ في نُصرتك
ولتجعلِ العقلَ محكّاً وخذْ كلاً بما يظهرُ في نقدتك

* ثمّ ينصح ابنه من مكر صديق السُّوء فيقول :

كم من صديقٍ مظهرٌ نصحه وفكرهُ وقفٌ على عثرتك
إيّـاكَ أن تقـربَـه إنَّـه عونٌ مع الدَّهر على كربتك
ولا تُضيِّـع زمنـاً ممكنـاً تذكارهُ يذكي لظى حسرتك

* وبعد ذلك أخذ ابن سعيد ينصحُ ابنه بهذه الكلمات فقال : يا بني الذي لا ناصحَ له مثلي ، ولا منصوحَ لي مثله ، قد قدَّمت لك في هذا النَّظم ما إن أخطرته بخاطرك في كلّ أوانٍ رجوتُ لك حُسنَ العاقبة إن شاء الله تعالى ، وإن أخفّ

منه للحفظِ وأعلقَ بالفِكرِ ، وأحقّ بالتّقدم قول الأوّل :

يزينُ الغريبَ إذا ما اغتربْ ثلاثٌ فمنهنَّ حُسن الأدب
وثانيةٌ حسنُ أخلاقه وثالثةٌ اجتناب الرِّيب

واصغِ يا بني إلى البيت الذي هو يتيمة الدَّهر ، وسلّم الكرم والصَّبر :

ولو أنَّ أوطان الدِّيار نَبَتْ لكم لسكَنْتُمُ الأخلاقَ والآدابا

إذ حسنُ الخلق أكرم نزيل ، والأدبُ أرحبُ منزلٍ .

* إنَّ في حكم الشُّعراء ونصائحهم وقفاتٌ رائعاتٌ ، تصلحُ للأسمار ، والمذاكرة والحفظ ؛ لما فيها من عظاتٍ وتجارب ؛ فهذا أحدهم يذكر أنَّه وضع سِرّاً عند امرىء غير حازم في أموره ، فشاع سِرُّه وذاع وافتضح ، فالنّاس شتى ، فما كلُّ عَقول بذول ، ولا كلُّ ناصحٍ لبيب ، فالحازمُ العاقلُ جديرٌ بأن يكون من النَّاصحين ، وخليقٌ أن يُصاحَبَ ، وأن يُسْتَسَرَّ ويُستنصَح ؛ فلنقرأ هذه المعاني في الأبيات التالية :

أمنتُ على السِّرِّ امرأً غيرَ حازمٍ ولكنّه في النُّصح غيرُ مُريبِ

فذاعَ به في النّاس حتى كأنّما بلعيـاءِ نـارٍ أوقـدت بثقـوبِ
فما كلُّ ذي لبٍّ بمؤتيك نُصحه ومـا كـلُّ مـؤتٍ نُصحـه بلبيـبِ
ولكن إذا ما استجمعا عند واحدٍ فحُـقَّ لـه مـن طـاعـةٍ بنصيـبِ

* وقـد أوصـى الشُّعـراء بـالنُّصـح المـوشَّـح بـالحكمـة والتجربة ، فمن نصائحهم الجميلة ألا ينصحَ العاقل أصحاب الكِبْـر والعُجْـب ، وأصحـابَ الأهـواء ، فهـم ليسـوا بـأهـل لـذلـك ، ولـن يقبلـوا النُّصـح ، ولـن يتقبَّلـوا النَّصيحـة ، فالمعجبُ برأيه لا يستجيبُ للنُّصح والإرشاد ، وهنا يحسن إهماله ، خصوصاً إذا لم يكن من ذوي القُربى :

إذا نصحتَ لذي عُجْبٍ لتُرشدَه فلم يُطعْكَ فلا تنصح له أبدا
فإنَّ ذا العُجْبِ لا يعطيكَ طاعتَه ولا يجيـبُ إلـى إرشـاده أحـدا
وما عليك وإن غاوٍ غوى حقباً أن لم يكن لك قُربى أو يكن ولدا

* ولـم يقـف الشُّعـراء أمـام العـدو النَّـاصـح مـوقـفَ المستكين ، وإنّما حذَّروا منه ، ورسموه بألوان واضحةٍ رائعةٍ ، وأبانوا زيف نصحه ، وغشَّه الواضح ، كما ذكروا صدق المناصح والانتفاع بنصحه وإرشاده ، قال أحدهم :

فكم من عدوٍّ مُعلنٌ لكَ نُصحه علانيةً والغشُّ تحت الأضالعِ
وكم من صديقٍ مرشدٍ قد عصيتَه فكنتَ له في الرُّشد غيرَ مطاوع
وما الأمرُ إلا بالعواقبِ إنّها سيبدو عليها كلُّ سِرٍّ وذائعِ

* وقال غيرُه في المعاني ذاتها أو قريبٍ منها :

وصاحبٍ غير مأمونٍ غوائلُهُ يُبدي لي النُّصحَ منه وهو مشتملُ
على خلافه الذي يبدي ويظهرُه وقد أحطتُ بعلمي أنّه دَغِلُ
عفوتُ عنه انتظاراً أن يثوبَ له عقلٌ إليه من الزّلات ينتقلُ
دهراً فلما بدا لي أنّ شيمتَه غشٌّ وليس له عن ذاكَ منتقَلُ
تركتُه تركَ قالٍ لا رجوعَ له إلى مودَّته ما حنَّتِ الإبلُ

* ومن بدائع النَّصائح هذه النَّصيحة النَّسوية من إحدى الشَّواعر المعاصرات وهي صابرة العزّي[1] ، التي تصوِّر حال الشَّباب الذين انحرفوا عن الطَّريق السويّ ، فمالوا إلى

---

(١) شاعرةٌ عراقيةٌ ولدت ونشأت في بغداد ، واسمُها خديجة محمود العزي ، أمّا صابرة فهو لقب لها ، ولعزّة هذه ديوان شعر اسمه « نفحاتُ الإيمان » وشعرُها يتَّسم بالعاطفة الإسلامية والمعاني الجميلة .

الخلاعة والمجون ، فبدوا في أشكالهم وأزيائهم كأنَّهم نساءٌ ، وهذه الشَّاعرة تنفرُ من هذه الفئة السَّاقطة من الشَّباب ، وتُنفِّرُ الشَّباب من هذه الأعمال ، وتحذِّرهم من أن ينبذوا المُثُلَ الرَّفيعة ، ويميلوا إلى أمثال هؤلاء الشَّباب ، أو أن يعملوا مثل أعمالهم ، فتقول ناصحةً :

ولدي إليكَ نصيحتي فيها الحنانُ مع المودَّه
إنَّ الحيـاة ينـالُهـا شَهْـمٌ بنـى بـالعلـم مَجْـده
ولدي نرى بعض الشَّباب قد استكانوا إلى الميوعه
وتجلببـوا زيَّ النِّسـاء وكـوَّنـوا زمـراً خليعـه
لا تـركنـنَّ إليهـم وتجنَّبـنْ تلـك الخـديعـه
إنـي أُعيـذكَ أن تحيـدَ وتنبـذَ المُثـلَ الـرَّفيعـه[1]

* * *

(١) نفحاتُ الإيمان (ص ١٤٩ و ١٥٠) منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، ط ٢ ١٩٨٠ م .

الفصل الثّالث

نصيحةُ أبي تمّام للبُحْتري

* من عبير زَهْر ربى أبي تمّام الشِّعري ، ومن ينبوعه الأدبي الثَّر ، نغترفُ هذه الجرعاتِ اللطيفة من عذب نصائحه الأدبيّة ، ونمير كلماته النّدية التي قدَّمها هديةً سائغةً ، ونصيحةً غاليةً إلى تلميذه الأديب النَّجيب أبي عبادة الوليد بن عُبَيْد الطّائي البُحتري ، أمير شعراء عصره ، وحامل لواء القريض .

* أمّا أبو تمّام أستاذُه ، فهو مقدَّمُ شعراء عصره ، ورئيسُ الكلمة في مِصْره ، جمع فصاحةَ القُدماء ، ورقَّة المحدثين ، أطاعته أعنَّةُ الكلام ، وكان قولُه في نصيحة البحتري ما قالت حذام ؛ وكانت نصيحتُه للبحتري نصيحةَ بليغٍ حكيمٍ ، ولا

عجبَ في هذا ففوق كلِّ ذي علمٍ عليم .

* كان أبو تمّام من أعاجيب الشُّعراء ، فكان يحفظُ أربعة آلاف أرجوزة غير القصائد والمقاطيع ، وجابَ البلاد ، ومدح الخُلفاء والأماثل وغيرهم ، ولا عجب أن يصدر عقلُه عن لبِّ النَّصائح للأدباء والشُّعراء ، وخصوصاً ما رواه لنا البحتري بعد وفاة[1] أستاذه عن نُصحه إيّاه فقال :

* كنتُ أرومُ الشِّعر في حَداثتي ، وكنتُ أرجعُ فيه إلى الطَّبْع ، ولم أكن أقفُ على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضائه ، حتى قصدتُ أبا تمّام ، وانقطعتُ إليه ، واتَّكلتُ في تعريفه

---

(١) كانت وفاة أبي تمام في الموصل سنة (٢٣١ هـ) ، ورثاه جماعةٌ من الشُّعراء منهم : أبو نَهْشل بن حُميد حيث قال :

فُجِعَ القريضُ بخاتم الشُّعراءِ وغديرُ روضتها حبيبُ الطَّائي
ماتا معاً فتجاورا في حُفْرةٍ وكذاك كانا قَبْلُ في الأحياءِ

ورثاه محمد بن عبد الملك الزيّات وزيرُ المعتصم فقال :

نبأٌ أتى من أعظمِ الأنباءِ لما ألمَّ مُقَلقلُ الأحْشاءِ
قالوا حَبيبٌ قد ثوى فأجبتُهم ناشدتكم لا تجعلوهُ الطَّائي

عليه ، فكان أوّل ما قال لي : يا أبا عبادة ، تخيَّر الأوقات وأنت قليلُ الهموم ، صِفْرٌ من الغُموم ، واعلم أنَّ العادة جرتْ في الأوقات أن يقصدها الإنسانُ لتأليف الشَّيء ، أو حفظه في وقتِ السَّحَر ، وذلك أنَّ النَّفس تكونُ قد أخذت بحظِّها في الرَّاحة ، وقسطها من النَّوم ، فإن أردتَ التَّشبيبَ ، فاجعلِ اللَّفظَ رقيقاً ، والمعنى رشيقاً ، وأكثِرْ فيه بيانَ الصَّبابة ، وتوجُّعَ الكآبة ، وقلقَ الأشواقِ ، ولوعةَ الفِراق ، فإذا أخذتَ في مَدْحِ سيِّدٍ ذي أيادٍ ، فأشهرْ مناقبه ، وأظهِرْ مناسبَه ، وأبِنْ معالمَهُ ، وشَرِّفْ مقامَه ، ونضِّدِ المعاني ، واحذر المتحمل منها ؛ وإيَّاكَ أن تشينَ شِعْرَكَ بالألفاظ الهجينة ، وكن كأنَّكَ خيَّاطٌ تقطعُ الثِّيابَ على مقادير الأجسام ، وإذا عارضكَ الضَّجر فأرِحْ نفسكَ ، ولا تعمل شعراً إلاَّ وأنتَ فارغُ القلب ، واجعل شهوتكَ إلى قول الشِّعر الذَّريعة إلى حُسنِ نَظْمه ، فإنَّ الشَّهوة تجمعُ النَّفْسَ ، وجملة الحال أن تعتبر شعركَ بما سبق من شِعْرِ الماضين ، فما استحسن العلماءُ فاقصده ، وما تركوه فاجتنبه ، ترشُدْ إن شاء الله تعالى .

قال : فأعملتُ نفسي فيما قال ، فوقفتُ على السِّياسة[1] .

* إنَّ المتأمِّل في هذه النَّصيحة يجد أنَّها حَوَتْ باقاتٍ من زَهْرِ نور الحكمة الأدبيّة ، والوصيّة المفيدة في الآداب ومقاصد الكلام ، ومعرفة أقدار العلماء .

* * *

(١) انظر : شرح مقامات الحريري للشريشي (١/ ٩٧) بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

الفصلُ الرَّابعُ

نصيحةُ علي الجارم لابنته

* علي الجارم[1] أحدُ شعراء العصر الحديث الذين شاركوا في إثراء الأدب العربي بكثير من مجالات الأخلاق والتَّربية ، ومن روائع بدائعه في هذا المجال ، نصيحتُه الأدبيّة

---

(١) علي الجارم ؛ شاعرٌ وكاتبٌ من القطر المصري ، ولد في مدينة رشيد عام ١٨٨١ م ، وسافر إلى إنكلترا ، وشغل منصبَ كبيرِ مفتشي اللغة العربية ، ثم وكيلاً لدار العلوم ، واختير عضواً في المجمع اللغوي بالقاهرة ؛ التزم في شعره الصِّياغة القديمة ، جمع شعره في ديوان بلغ أربعة أجزاء ، ثم اتّجه في أواخر أيامه إلى القصص التاريخي ، فألَّف « غادة الرشيد » و « شاعر ملكٌ » و « فارس بني حمدان » توفي عام ١٩٤٩ م .

الشَّهيرة لابنته التي رسم لها خطوطاً لألوان الفضائل ، وأوَّلها ترك التبرُّج ، كما أمرها باللين ونصحها بالعطف على البائسات ، وارتداء ثوب الحياء ، وأوصاها كذلك بالإحسان وما شابه ذلك ، وجعل نصحه هذا إلى ابنته التي لا تردُّ سؤله ، فإلى نصيحة علي الجارم الجميلة نقتطفُ هذه الأزاهير :

يـا بنتـي إن أردتِ آيـةَ حُسْـنٍ ... وجمـالاً يـزيـنُ جسمـاً وعَقْـلا

فـانْبـذي عـادة التَّبـرُّجِ نَبْـذاً ... فجمـالُ النُّفـوس أسمى وأعلى

يصنـعُ الصَّـانعـون ورداً ولكـنْ ... وردةُ الـرَّوضِ لا تُضـارعُ شَكْـلا

صِبْغـــة الله تبهـــرُ النَّفـــس ... تعـــالـــى الإلـــهُ عـــزَّ وجـــلا

ثمّ كوني كالشَّمس تسطعُ للنّا ... س سـواء مَـنْ عـزَّ منهـم وذُلا

فـامنحي المثـريـات ليناً ولطفـاً ... وامنحي البـائسـاتِ بِـرّاً وفَضْـلا

زينةُ الوجوه أن ترى العينُ فيه ... شـرفـاً يسحـرُ العيـونَ ونُبْـلا

واجعلـي شيمـةَ الحيـاءِ خمـاراً ... فهـو بـالغـادةِ الكـريمـةِ أوْلـى

ليس للبنتِ في السَّعادة حظٌّ إن تناءى الحياءُ عنها وولَّى
والبسي من عفاف نفسكِ ثوباً كلُّ ثوبٍ سواه يفنى ويَبْلى
وإذا ما رأيتِ بُؤْساً فجودي بدموع الإحسان يهطُلْنَ هَطْلا
فدموع الإحسان أنضرُ في الخدِّ وأبـ ـهى من اللآلى وأغلى
وانظري في الضَّمير إن شئتِ مرآ ه ففيه تبدو النُّفوس وتُجْلى
ذاك نُصحي إلى فتاتي وسُؤْلي وابنتي لا ترُدُّ للأبِ سؤلا

* * *

الفصلُ الخامسُ

النَّصيحةُ بين الإيجابِ والسَّلْبِ

* إذا كانت النَّصيحةُ ذاتها هديةً من قائلها ، فهي ـ ولا شك ـ هديةٌ نفيسةٌ يبثُّها الأدباءُ ، وأهلُ الحكمة في معرض الحياة ، لتظلَّ مناراً لطلاب الفضائل وشُداة المكارم .

* تُرى ماذا أهدى إلينا الأدباءُ والحكماءُ من نصائحَ على مائدة الزَّمن ، وعلى صفحات التاريخ ؟! وعلى أوراق الأيّام ؟!

* قال جليلٌ من الحكماء : يجبُ من حقّ الله عزَّ وجلَّ على المرء : التّوحيدُ والطّاعةُ ؛ ومن حقّ السُّلطانِ : الودُّ والنَّصيحةُ .

* ولذلك كان الملوكُ والخلفاء أهل الحزم والعقل منهم يحبُّون مَنْ يصدقُهم عيوبَهم ، ويقرِّبون مَنْ ينصحُ لهم ، ويبصرهم بالحقّ ، وقد كان العقلاء منهم يتواصون باجتناء النَّصائح ، وقبول المواعظِ ، ويشترطون في عهودهم معرفة النُّصح من الغش ، والنَّاصح من الغاشّ ، وممن يجب أن يُقبل النُّصح[1] ، وكيف يجبُ أن يعمل بمقتضاه .

* وممّا بقي من آثار ملوك الأقدمين العرب والأعاجم ، وما عاشَ من آرائهم أن قالوا لأولادهم ولمن يتولّى الحكم

---

(١) وفي هذا المجال يقول أردشير بن بابك أول ملوك الفرس السّاسانية : وفي الرعية ضربٌ أتوا الملوكَ من أبواب النَّصائح ، والتمسوا إصلاح منازلهم بإفساد منازل النّاس ، فأولئك أعداءُ النّاس ، وأعداءُ الملوك ، ومَنْ عادى الملك وجميع الرَّعيّة فقد عادى نفسه . (نصيحة الملوك ص ٥٤) .

بعدهم : أخلقُ النّاس بالتَّورُّطِ والنَّدم أعصاهم للنُّصحاء[1] .

* ومن روائع ما تبقّى من آثارهم في سِمْط النَّصائح قول كلٍّ واحد منهم لابنه : اتَّخذْ من علمائك ونُصحائكَ مرآةً لطباعكَ وفعالكَ ، كما تتَّخذْ لصورة وجهك الحديد المجلو ، فإنَّك إلى صلاح طباعكَ وأفعالكَ أحوجُ منك إلى تحسين صورتك ، والعالمُ النَّاصحُ أصدقُ وأعوزُ من الحديد المجلو[2] .

* وكلُّ هذه النَّصيحة الطَّويلة العريضةِ مجموعةٌ في قوله ﷺ : « المؤمنُ مرآةُ أخيه المؤمن »[3] .

---

(١) نصيحة الملوك ، طبعة مؤسسة شباب الإسكندرية عام ١٩٨٨ م .
(٢) سراج الملوك (ص ٧٣) .
(٣) رواه العسكري في الأمثال عن أبي هريرة ، كما في كنز العمال (٧٦٨) .

* ومن بدائع النَّصائح ما جاء أنَّ عبد الملك بن مروا
نصحَ أولاده يوماً فقال لهم : يا بني عليكم بالأدب والعلم
فإن كنتم فقراء عشتم ، وإن كنتم أغنياء سدتُم ، وإن كنت
سادة فُقْتُم ، استفيدوا من الأدب ولو كلمة واحدة ، فمن ل
يكسب به مالاً ، اكتسب به جمالاً .

* ولعلّنا نذكرُ جميعاً هذه النَّصيحة العظيمة في اختيا
الصُّحبة ؛ فقد وردَ أنّ علقمة بن ليث نصح ولده فقال :

يا بني! إن نازعَتْكَ نفسُكَ يوماً لمصاحبة الرِّجال
فاصحَبْ مَنْ إذا صحبتَه زانكَ ، وإذا نزلتَ بك مؤنةٌ مانكَ
واصحب مَنْ إذا قلتَ الحقَّ صدَّق قولك ، وإذا صُلْتَ ض
الباطل شدَّدَ صولك ؛ اصحبْ مَنْ إذا رأى منكَ حسنةً عدَّها
أو رأى سيِّئةً سدَّها ، اصحبْ مَنْ إذا طلبتَ منه أعطاكَ ، وإ
سكتَّ عنه ابتداكَ ، اصحبْ مَنْ يدلُّكَ على الله حالُه ومقالُه .

* ويجبُ على الإنسان أن يأخذَ النَّصيحة المفيدةَ م
النَّاصح وإن كان صغير الشَّأن ، فقد تكون نصيحتُه جوهر
فريدةً ، ودرّاً منثوراً .

* يقولُ بعضُ الحكماء : لا يمنعكَ صغرُ شأن امرىء من اجتناء[1] ما رأيتَ من رأيه صواباً ، والاصطفاء لما رأيتَ من أخلاقه كريماً ، ولا تحقرنَّ الرَّأي الجليلَ إن أتاكَ به الرَّجلُ الحقيرُ ، فإنَّ اللؤلؤة النَّفيسة لا يُستهانُ بها لهوان غائصها الذي استخرجها[2] .

* واعتبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه النَّصيحة بمثابة الهدية فقال : رحمَ اللهُ امرأً أهدى إلينا مساوئنا .

* ولولا جلال شأن النَّصيحة وعظمها ، ما كانت الحكماءُ العرب تُجمِعُ فتقول : أخوك مَنْ نصحَكَ .

* وقالوا : انْصحْ أخاك ، فإن قَبِلَ ، وإلا فغشَّه .

فقيل : وكيف أغشُّه ؟

قال : اسكت عن نصيحته .

---

(١) اجتناء : اختيار وتفضيل .
(٢) انظر كتاب : نصيحة الملوك (ص ٥٥) .

فجعلوا السُّكوتَ عن النُّصح عقوبةً للمنصوح على ترك
قبوله ، وكذلك ما قال الشَّاعر الحكيم :

ولقـد نصحتُـكَ إن قبلـتَ نصيحتـي

والنُّصـحُ أرخـصُ مـا يُبـاعُ ويـوهَـبُ

* إنَّ كلَّ ما نزَّل الله عزَّ وجلَّ في القرآن الكريم ، وأجرى
على لسان رسوله ، وأمر بأخذه واتِّباعه ، ثمّ تواصى بـ
الحكماء سَلَفهم لخلفِهم ، وأوَّلهم لآخرهم من كلمةٍ نافعةٍ
أو حكمةٍ بالغةٍ ، أو موعظةٍ شافيةٍ ، أو هدايةٍ مرشدةٍ ، فإنّم
هي نصيحةٌ ، ولذلك كان أهلُ الدِّين والعقل والعلم والفضل
يقبلـونهـا بـالشُّكر بقلـوبهـم ، ويجـرونهـا علـى ألسنتهـم
ويخلّدون رسومها في كُتُبهم ، ويزيِّنون بها مَجَالسهم
ويؤنسون بها مُجالسِهم ، ويمدحون قائل النَّصيحة على مـ
الأيّام :

وإن قـال لـي مـاذا تـرى يستشيـرنـي

فلـم يـكُ عنـدي غيـرُ نُصـحٍ وإرشـا

* إنَّ النَّصيحة جرعةٌ مُرَّةٌ ، وقد لا يقبلها إلا أولو العزم ممّن حباهم اللهُ المكارمَ ، وألبسهم تاجَ الفضائل ، ولذلك قال عثمان البتّي : إذا نصحتَ الرَّجل ، فلم يقبل منكَ ، فتقرَّب إلى الله بغشّه[1] .

* إنَّ أصحاب العزم العُقلاء يشجّعون النُّصحاء على النَّصيحة ، ومنهم عمر بنُ عبد العزيز رحمه الله الذي قال لميمون بن مهران : قُلْ لي في وجهي ما أكره ، فإنَّ الرَّجل لا ينصحُ أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره[2] .

* وفي منثور الحكم قالوا : ردَّكَ مَنْ نصحَكَ ، وقلاكَ مَنْ مشى في هواكَ .

* لكنّنا قد نرى أنَّ النُّصح قد يضيعُ لمن لا يقبله ، ويضربون على هذا مثلاً وهو أنَّه أخذ رجلٌ ذئباً ، فجعل يعظُه ويقولُ : إيَّاكَ وأخذَ أغنام النّاس ، فيعاقبكَ اللهُ ، والذِّئبُ

---

(١) انظر : محاضرات الأدباء (١/ ١٣٠) .
(٢) المستطرف (١/ ٧٦) .

يقـولُ : خَفِّـفْ واختصـر فقـدّامـي قطيـعٌ مـن الغنـم لئـلا يفوتني[1] .

* وقال آخر :

نصحـتُ فلـم أُفلِـحْ وخـانـوا فـأفْلَحـوا
فـأنـزلنـي نُصحـي بشـرٍّ مكـانِ

* إنَّ من لا يقبل النَّصيحة يغشُّ نفسَه وهو لا يدري :

أعـاذلَ إنَّ نُصحـكَ لـي عنـاءٌ
فحسبُـكَ قـد سمعـتُ وقـد عصيـتُ

* ومن النَّصائح التي لو كُتبَتْ بماءِ الذَّهب لكان ذلك قليلاً ، ما جاء في نصيحة أعرابي لأحدهم حيثُ يقول :

إنَّ فلاناً وإن ضحكَ لك فإنَّه يضحكُ منك ، وإن أظهر

---

(١) محاضرات الأدباء (١/ ١٣٠) ، ولله درُّ مَنْ قال في هذ المعنى :

يخبـرُكـم أنَّـه نـاصـحٌ وفي نُصحهِ ذَنَبُ العَقْرب

الشَّفقة عليك ، إن عقاربه تسري إليك ، فإن لم تجعله عدوّاً لك في علانيَتك ، فلا تجعله صديقاً لك في سريرتك[1] .

* وممّا حُفظَ عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في دنيا النَّصائح هذه النَّصيحة العظيمة التي تُعتبر رُكْناً من أركان التَّعامل الاجتماعي والسُّلوكي ، يقول : لا تعمل بالخديعة ، فإنَّها خُلُقُ اللِّئام ، وامحضْ أخاكَ النَّصيحة ، حسنةً كانت أو قبيحةً ، وزُلْ معه حيثُ زال[2] .

* وقال أبو حاتم البُستي : خيرُ الإخوان أشدُّهم مبالغةً في النَّصيحة ، كما أنَّ خيرَ الأعمال أجملُها عاقبةً ، وأحسنُها إخلاصاً ؛ وضَرْبُ النَّاصح خيرٌ من تحيَّةِ الشَّانىء[2] .

* إنَّ الأدباء والحكماء لم يبخلوا بنصحهم ، وكان شعارهم بَذْلُ ما يفيدُ إلى النّاس كافَّةً ، وكانوا يرَوْنَ أنَّه يجبُ أن يكون للعاقل نصيحة مبذولة للعامَّة ، مكتوماً من العامّ

---

(١) الجليس الصالح الكافي (١/ ٣٦٢) .
(٢) روضة العقلاء (ص ٣٢٦) .

والخاص ما قدر عليه ، وليس النَّاصح بأولى بالنَّصيحة من المنصوح له ، ويجبُ أن ينصحَ في السِّرِّ والعلانية ، يقول الحسن البصري : إنَّ المؤمن شعبةٌ من المؤمن ، وهو مرآة أخيه ، إن رأى منه ما لا يعجبه ، سدَّده وقوَّمه ، ونصحه في السرِّ والعلانية .

* وقال بعضُ الحكماء : اثنان ظالمان : رجلٌ أُهديَتْ له النَّصيحة ، فاتَّخذها ذنباً ، ورجلٌ وُسِّعَ له في مكانٍ ضيِّقٍ فقعد مُتربِّعاً .

* ولإسداء النَّصيحة آدابٌ تحدَّث عنها حكماءُ الأدب ، وأولوها اهتمامهم ، وجعلوا لها شُروطاً لتكون مفيدة .

* قال أبو حاتم البُسْتي : النَّصيحةُ تجبُ على النَّاس كافَّة ، ولكن إبداؤها لا يجبُ أن يكون إلا سِرّاً ، لأنَّ مَنْ وعظ أخاه علانيةً فقد شانَهُ ، ومَنْ وعظَهُ سِرّاً فقد زانَه .

* وقيل لأحد العلماء : أتحبُّ أن يخبرك رجلٌ بعيوبك ؟

قال : أما أن يجيء إنسانٌ فيوبِّخني بها فلا ، وأمّا أن يجيء ناصحٌ فنعم .

* وقال أحدهم في علامة النَّاصح الجيد : علامةُ النَّاصح إذا أراد زينة المنصوح له ، أن ينصحه سِرّاً ، وعلامةُ مَنْ أرادَ شَيْنَه أن ينصحهُ علانيةً ، فليحذر العاقلُ نصحه الأعداء في السرِّ والعلانية .

* ورحم اللهُ الإمام محمد بن إدريس الشَّافعي حيث يقولُ في هذا المعنى :

تعمَّدني بنصحكَ في انفرادي وجَنِّبْني النَّصيحةَ في الجماعَه
فإنَّ النُّصحَ بين النَّاسِ نوعٌ من التَّوبيخِ لا أرضى استماعَه
فإن خالَفْتَني وعصيتَ قَولي فلا تغضَبْ إذا لم تُعْطَ طاعَه

* إنَّ النَّصيحة ذات طعمٍ خاص بين الآداب الإسلامية الأخرى ، ومرتبطة بالتُّهمة أحياناً ، لكنّ العاقل يدركُ أين تكون الفائدة ، قال أبو حاتم البُسْتي : النَّصيحة منوطةٌ بالتُّهمة ، وليست النَّصيحةُ إلا لمن قبلها ، كما أنَّ الدنيا ليست إلا لمن تركها ، ولا الآخرة إلا لمن طلبها ، وليس على كلٍّ

ذي نُصْحٍ إلا الجهد ، ولو لم يقبل من نصحائه ما يثقلُ عليه ، لم يحمد غبَّ رأيه ، ومشاورة الأصم أحمد من النّاصح المعرض عنه ، ومَنْ بذلَ نصيحتَه لمَنْ لا يشكر ، كان كالباذر في السِّباخ ، وأكثر ما يكون تركُ قبول النَّصيحة من المُعْجب برأيه .

* وبعد ، عزيزنا القارىء ، نرجو أن تكونَ قد استمتعتَ في هذه الرِّحلةِ الشَّائقةِ مع عبيرِ النَّصيحة ، ونرجو أن تخصَّنا بدعوةٍ صافيةٍ في ظَهْرِ الغَيْبِ .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

* * *

فهرس الموضوعات

مقدمة ٥

الباب الأول: النصيحة بين آفاق التاريخ واللغة والمفهوم ١١

الفصل الأول: النصيحة منذ فجر التاريخ ١٣

الفصل الثاني: النصيحة في رحاب اللغة العربية ١٨

الفصل الثالث: النصيحة في المفهوم ٢٥

الباب الثاني: النصيحة والنصح في ضوء القرآن الكريم . ٣١

الفصل الأول: موارد النصيحة ومعانيها في كتاب الله ٣٣

الفصل الثاني: من صفات الناصحين ٣٧

أولاً: معرفة الناصح لله عز وجل حق المعرفة ... ٣٨

ثانياً: خشية الله في السر والعلانية ٣٨
ثالثاً: الاستقامة والإخلاص في العمل ٣٩
رابعاً: مجالسة أهل العلم والحكمة والحياء ٤٠
الفصل الثالث: صور من نصائح لقمان لابنه ٤٢

الباب الثالث: مكانة النصيحة في حياة الأنبياء ودعوتهم . ٤٥
الفصل الأول: أنبياء الله والنصيحة ٤٧
الفصل الثاني: نبي الله نوح الشكور النصوح ٤٩
الفصل الثالث: نبي الله هود الناصح الأمين ٥٣
الفصل الرابع: نبي الله صالح المبلّغ الناصح ٥٧
الفصل الخامس: نبي الله شعيب الخطيب الناجح ... ٦٠

الباب الرابع: القصص القرآني وعبقات النصيحة ٦٥
الفصل الأول: أهمية النصيحة في القرآن الكريم ... ٦٧
الفصل الثاني: قصة نصيحة أخت موسى عليه السلام ٦٩

الفصل الثالث: قصة الرجل الناصح لموسى عليه السلام ٧٨
الفصل الرابع: قصة حبيب النجار ٨٢

الباب الخامس: النصيحة في الهدي النبوي الكريم ٨٩
الفصل الأول: ترغيب النبي ﷺ في النصيحة ٩١
الفصل الثاني: أنواع النصيحة في حديث النبي ﷺ .. ٩٩
الفصل الثالث: من ألوان النصيحة في الحياة الاجتماعية ١١١

الباب السادس: من قصص النصح في عصر الصحابة والسلف الصالح ١١٧

الفصل الأول: نصيحة الوليد بن الوليد لأخيه خالد . ١١٩
الفصل الثاني: النصيحة بين العلماء والحكام ١٢٦

الباب السابع: النصيحة بين أنفاس الشعراء ويراع البلغاء ١٣١
الفصل الأول: النصيحة عنوان الأدب ١٣٣

الفصل الثاني: النصيحة عند حكماء الشعراء ١٣٥
الفصل الثالث: نصيحة أبي تمام للبحتري ١٤٤
الفصل الرابع: نصيحة علي الجارم لابنته ١٤٨
الفصل الخامس: النصيحة بين الإيجاب والسلب .. ١٥١
فهرس الموضوعات ١٦٣

* * *